الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم: الكتاب والسنة

شعبة: السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل:.....

شهرة الحديث عند الشيخين وأثرها في رد شبهات المعاصرين حول السنة النبوية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة

إعداد الطالبة:

سميرة قمري

إشراف الدكتورة:

حكيمة حفيظي

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلميّة	الجامعة الأصليّة	الصّفة
أ.د.نصر سلمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	رئيسا
د. حكيمة حفيظي	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة	مشرفة
د.صالح عومار	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر_قسنطينة	عضوا

السنـــــة الــجامعية: 1433-1434هـ/2012-2013م

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد:

فقد تعرضت السنة النبوية، ومصادرها، وجهود أئمتها منذ القديم لطعون الطاعنين وشبه المغرضين من أعداء هذا الدين ومن اغتر بمقالاتهم ومناهجهم من مختلف طوائف المسلمين.

وفي هذا العصر ازدادت الشبهات والطعون الموجّهة للسنة، بغرض زعزعة صرحها الشامخ وتحطيم حصون المسلمين من الداخل، وقد تولى كبر هذه الطعون أعداء الإسلام من المستشرقين خصوصا، ثم من تأثر بدعواتهم وشبهاتهم من الكتاب والباحثين المسلمين، في وقت تعيش فيه الأمة ذلا وضعفا، وتبعية وانبهارا بالمدينة الغربية المادية.

وعليه؛ فإن الدفاع عن السنة النبوية أصبح اليوم واجبا على الأمة كلها، وعلى طلبة العلم بصفة خاصة.

وإن أولى دواوين السنة بالنصرة اليوم صحيحا البخاري ومسلم –رحمهما الله– فإن السهام توجه نحوهما بصفة خاصة لمكانتهما عند الأمة حيث تلقتهما بالقبول–بجل طوائفها– واعتبرتهما أصح كتابين بعد كتاب الله عزوجل، ولأنهما ذروة الصناعة الحديثية...

وفي سياق برنامج قسم الكتاب والسنة، شعبة السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة، والذي يهدف إلى بيان كل ما بحث حول السنة النبوية في العصر الحاضر إيجابا وسلبا، كان اختياري لموضوع "**الشهرة عند الشيخين وأثرها في رد شبهات المعاصرين**".

علّه يكون لبنة في صرح التعمق في بناء معرفتي الحديثية، والدفاع عن السنة من خلال خدمة مصادر أهل الحديث.

وسيكون محور هذا البحث الجواب عن شبهة مهمة مفادها أن المحدثين عموما بنوا نقدهم الحديثي وتصحيحهم للأحاديث على أسانيد أفراد، وأحاديث آحاد...ورددوها في كتبهم قديما وحديثا مما يشك في تلك الجهود وبخاصة الصحيحين.

إشكالية البحث:

والسؤال الرئيس الذي أحاول الإجابة عنه من خلال بحثي هذا هو الآتي:

من المعلوم بداهة عند كافة المشتغلين بعلم الحديث أو بعلوم السنة عموما المكانة التي يحظى بها

الصحيحان، ومنه مكانة تلك الأحاديث التي تضمنها الكتابان، والتي أطبق أهل الحديث على صحتها، وقوتها...وما هذا إلا لشهرتها بين أهل العلم عموما، وبين أهل الحديث خصوصا.

والتساؤل الذي يعرض نفسه، كيف استطاع الشيخان انتقاء تلك الأحاديث حتى حظيت بهذه المكانة أو القيمة العلمية؟.

وما هي أهم الأسس العلمية التي اعتمداها في بيان شهرة تلك الأحاديث، على الرغم من أن بعضها أفرادا، أو ليس له إلا إسناد واحد، أو على القول بأنها جلها آحاد؟

وهل حقيقة اعتمد الشيخان في صحيحيهما أساسا على أحاديث أفراد وغرائب، أو أن هذه الأحاديث نادرة؟

وهل حقيقة كان اعتمادهما في التصحيح على أسانيد آحاد فقط؟

ومنه يمكن التساؤل عن مدى صحة تلك الطعون الموجهة للصحيحين؟ وعن وجاهتها العلمية؟.

وما قيمتها في ميزان البحث العلمي الموضوعي –المدّعى–؟

وكيف يمكن توظيف تلك المعالم التي اعتمدها الشيخان في بيان شهرة الأحاديث علميا في تفنيد شبهات الطاعنين؟

كل هذه التساؤلات سأحاول الإجابة عنها في هذا البحث، والذي عنونته بـــ:

3/عنوان البحث:

"شهرة الحديث عند الشيخين وأثرها في رد شبهات المعاصرين حول السنة النبوية"

شرح مصطلحات العنوان:

–الشهرة: كون الحديث مشتهرا، معروفا بين أهل العلم عموما (محدثون، فقهاء...)، وليس غريبا أو شاذا.

–الشيخان: المقصود بهما الإمامان الحافظان:

1/أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـــ)، وكتابه "الجامع المسند الصحيح المختصر، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه".

2/وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن ورد القشيري (ت261هـــ) وكتابه "المسند الصحيح

المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم".

-أثرها: أهمية البحث.

_المعاصرون: خلال (ق14-15هـ) الموافق لـ(20-21م)ن من الكتاب والأدباء والباحثين عموما من غير المختصين الذين تكلموا نقدا في جملة من أحاديث الصحيحين.

4/أسباب اختيار البحث:

لقد دفعني لاختيار هذا البحث جملة من الأسباب، أهمها:

-كثرة السهام الموجهة للسنة النبوية بالتشكيك في دواوينها، ومسالك مؤلفيها، واتهامهم بالقصور المنهجي في نقد الأحاديث واختيار أصحها وأقواها.

-الإسهام في الدفاع عن السنة النبوية، وعن حُفاظها وأئمتها، ومواصلة جهود المحدثين في ذلك.

-شغفي بالبحث حول الصحيحين، واهتمامي بجهود الشيخين، وما يثار حولهما من كلام المعاصرين.

5/أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى:

-بيان الأسس والمعالم التي قام عليها عمل الشيخين في إخراج أشهر الأحاديث وأصحها.

-بيان قيمة الكتابين ومؤلفيهما، وأن الأمة إنما تلقتهما بالقبول لقيمتهما العلمية.

- رد شبهات المعاصرين وتشكيكهم للأمة في أهم مصادرها بعد كتاب الله عزوجل، وتفنيدها بالأسلوب العلمي الموضوعي.

- بيان قيمة انتقادات الطاعنين ومدى قربهم أو بعدهم عن المنهج العلمي الصحيح.

-السعي لإبراز المسلك النقدي للشيخين والذي قد يغيب عن العديد من المشتغلين بعلم الحديث فضلا عن هؤلاء الدخلاء والمتطفلين على هذا الفن العظيم.

-هذا البحث من شأنه أن يكون لبنة في صرح الدفاع عن السنة عموما، وعن الصحيحين خصوصا.

6/المنهج المتبع:

المنهج الذي سأتبعه في البحث _بإذن الله_ هو المنهج الاستقرائي، والمنهج التحليلي النقدي.

-أما الاستقرائي: فيكون باستقرائي لشبهات الطاعنين في هذا الباب، واستقراء الأحاديث المنتقدة من قبلهم.

-وأما التحليلي النقدي: فيكون عند تحليل تلك الشبهات، ودراستها دراسة نقدية.

7/الدراسات السابقة:

تعد دواوين السنة أهم مصادر الأمة بعد كتاب الله عزوجل، ولهذا ما فتئ الطاعنون يوجهون سهامهم نحوها، وخاصة صحيح البخاري ومسلم –رحمهما الله–، وقد وقفت على جملة مما كتب في الدفاع عنهما، أو عن أحدهما منها:

- " الأنوار الكاشفة، لما في أضواء أبي رية من التضليل المجازفة" للشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي.
- "التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل" للشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي.
- :جناية أوزون...عندما يتحدث الجنون" للدكتور حاكم بن عبيسان المطيري.
- "مكانة الصحيحين" للدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر.
- "نقد قواعد في علوم الحديث" للشيخ بديع الدين السندي.

أما في خصوص موضوعي، فحسب اطلاعي، وفي حدود علمي لم يبحث فيه بدراسة أكاديمية شاملة ومتخصصة إلى اليوم.

8/آفاق البحث:

- الحث على مواصلة الجهود في الدفاع عن السنة ودواوينها وأئمتها.
- العناية بدواوين السنة وتعريف الأمة بها وبأصحابها، وبيان مكانتها.
- ردع المتجرئين على ثوابت الأمة ومصادرها الأصلية، وتفنيد شبهاتهم.

9/صعوبات البحث:

من فضل الله عزوجل أن يسر لي إتمام هذا البحث، بعد طول مدة، ولعل أهم صعوبة واجهتني:

- كون الموضوع جديدا لم تسبق دراسته(في حدود علمي)، مما جعلني في بعض الأحيان أقف محتارة أمام بعض مباحثه.

- صعوبات وعوائق اجتماعية، ولا أظنها تصلح حجة في ميزان البحث العلمي.

خطة البحث:

قسمت بحثي إلى مقدمة، وفصلين، وتحت كل فصل مباحث، واندرج تحت كل مبحث عدة مطالب، مراعية في ذلك كله أن تكون الخطة متوازنة.

أما الفصل الأول فقد قسمته إلى مبحثين (المبحث الأول) لبيان مفهوم الشهرة عند المحدثين وأهميتها عندهم، و(المبحث الثاني) فيه بيان لأهم معالم الشهرة عند الشيخين، ومدى مراعاتهما لها أثناء انتقاء أحاديثهما.

أما الفصل الثاني ففيه مبحثان: (المبحث الأول) لأهم المنطلقات الفكرية والعقدية للمنتقدين المعاصرين للصحيحين، و(المبحث الثاني) فيه عرض لشبهة خصوم الصحيحين بعدم شهرة أحاديثهما، ثم دراسة نماذج منتقدة من طرف هؤلاء الخصوم ، وتوظيف الشهرة في رد طعونهم وانتقاداتهم.

وأخيرا خاتمة وفيها أهم نتائج البحث

منهجي في كتابة البحث:

اتبعت في كتابتي للبحث على المنهج الأكاديمي المتبع في الجامعة حيث:

كتابة الآيات القرآنية:

أ-اتبعت الرسم العثماني، برواية حفص عن عاصم.

ب-أكتب اسم السورة ورقم الآية في هامش الصفحة.

ج-رتبت الآيات في فهرسها حسب ترتيبها في المصحف.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

-تخريج الأحاديث:

قمت بتخريج الأحاديث من مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما، اكتفيت بالعزو إليه.

-التزمت في فهرس الأحاديث ترتيبها على حسب حروف الهجاء.

التوثيق:

اقتصرت في التوثيق على ذكر الكتاب والكاتب والجزء والصفحة، وأرجأت ذكر معلومات النشر إلى فهرس المصادر والمراجع، وإذا ذكرت اسم الكاتب في المتن مستدلة بقوله فإني لا أعيد ذكره_أي اسم الكاتب_في الهامش، بل أكتفي بعنوان الكتاب، مع الإشارة إلى أني قد أعتمد أكثر من طبعة للكتاب الواحد، حسب ما تيسر لي.

اقتصرت في تراجم الأعلام على المنتقدين المعاصرين للصحيحين، أو من كان له موقف سلبي تجاه السنة أو بعض مباحثها.

وقد ضمنت الرسالة عدة فهارس فنية.

1-فهرس الآيات القرآنية.

2-فهرس الأحاديث النبوية.

3-فهرس الأعلام.

4-فهرس المصادر والمراجع.

5-فهرس تفصيلي للموضوعات.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم الشكر الجزيل إلى الأستاذة الكريمة التي أمدتني بالنصح والتوجيه.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه محمد وآله وصحبه أجمعين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول:

الشهرة عند المحدثين ومعالمها عند الشيخين

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل

يتناول هذا الفصل بالدراسة جانبا مهما من مناهج المحدثين في انتقاء الروايات، ألا وهو التركيز على الأحاديث المشهورة والمعروفة بين أهل العلم بالحديث، وبما أن الصحيحين هما محل الدراسة، فقد جاء التركيز عليهما، وعلى منهج الشيخين في انتقاء أحاديثهما.

وقد اشتمل هذا الفصل على مبحثين:

أما المبحث الأول فقد قسمته إلى مطالب بينت فيها مفهوم الحديث المشهور لغة واصطلاحا، وأقسام المشهور، وعناية المحدثين بالأحاديث المشتهرة، وبالمقابل ذمهم للروايات الشاذة والغريبة.

أما المبحث الثاني، فقد تكلمت فيه عن معالم شهرة الحديث في الصحيحين، وكيف برزت هذه الشهرة من خلال التركيز على الأسانيد المعروفة والمتداولة بين أهل العلم بالحديث، والرواة المشهورين بالعلم والرواية، وكذلك التركيز على المتون المعمول بها من قبل العلماء والمسلمين، إضافة إلى استفادة البخاري ومسلم من علماء عصرهما، وغيرها من المعالم التي تؤكد دقة مسلك الشيخين في الانتقاء.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول:الشهرة عند المحدثين

يتناول هذا المبحث التعريف اللغوي والاصطلاحي للحديث المشهور، وأقسام المشهور عند المحدثين، وعنايتهم بالأحاديث المشتهرة، وذمهم للأحاديث الغريبة، ويشتمل على المطالب الآتية:

المطلب الأول: مفهوم الحديث المشهور

الفرع الأول: مفهوم الحديث المشهور لغة

الحديث المشهور مصطلح مركب من لفظين أحدهما الحديث والآخر المشهور، ومن ثم فإن إدراك معناهما في اللغة يتطلب التعريف بكل لفظ منهما.

1- مفهوم الحديث لغة:

أصل مادته الحاء، والدال، والتاء، وتدل على كون الشيء بعد أن لم يكن[1]، والحديث صفة يوصف بها كل شيء قريب المدة، والعهد [2]، وتطلق ويراد بها الجديد من الأشياء[3]، لأن الجديد شيء حدث بعد أن لم يكن موجودا، ويراد بها الخبر [4] ، أو الكلام[5]، لأنه يحدث منه الشيء بعد الشيء[6]ولأن الكلمات إنما تتركب من الحروف المتعاقبة المتوالية وكل واحد من تلك الحروف يحدث عقيب صاحبه أو لأنّ سماعها يحدث في القلوب من العلوم والمعاني[7].

إذن تطلق كلمة الحديث في اللغة على معان منها:

الجديد من الأشياء.

الخبر أو الكلام.

وهذا المعنى الأخير هو المراد بدراستي.

---

(1)-انظر:معجم مقاييس اللغة:ابن فارس،ج4،ص154،ومختار الصحاح للرازي ،ص53،وتاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي ،ج5،ص206.

(2)-انظر:تاج العروس من جواهر القاموس، ج5، ص208.

(3)-انظر:العين للفراهيدي، ج3، ص177،والقاموس المحيط للفيروزآبادي،ص214.

(4)-انظر:مختار الصحاح للرازي،ص53، والقاموس المحيط، ص214.

(5)-انظر:القاموس المحيط، ص 214،ومفردات ألفاظ القرآن للراغب،ص222.

(6)-انظر:معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ج2، ص36، ومفردات ألفاظ القرآن للراغب، ص222.

(7)-انظر:الكليات، لأبي البقاء، ص 573.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وقد وردت لفظة الحديث بمعنى الكلام في القرآن الكريم والسنة المطهرة.

ففي القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾ [1] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا ﴾ [3]

وفي السنة المطهرة: حديث ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثوني ماهي، فوقع الناس في شجر البوادي.قال عبد الله :ووقع في نفسي أنها النخلة، فاستحييت، ثم قالوا: حدثنا ماهي يارسول الله قال: هي النخلة".[4]

2-مفهوم المشهور لغة:

المشهور اسم مفعول من شهر الثلاثي.

قال ابن مالك:

وفي اسم مفعول الثلاثي اطرد زنة مفعول كآت من قصد[5]

والشين والهاء والراء أصل صحيح يدل على وضوح في الأمر وإضاءة...والشهرة وضوح الأمر... وقد شهر فلان في الناس بكذا فهو مشهور، وقد شهروه[6]،أي عرف أمره بين الناس واستفاض. ومنه قولهم: "شهر فلان سيفه إذا انتضاه فيرفعه على الناس"[7] ،وفيه معنى الظهور والوضوح.

---

(1)_سورة النساء، الآية:140.

(2)-سورة الأنعام، الآية:68.

(3)-سورة التحريم، الآية3.

(4)-أخرجه البخاري في الصحيح ، كتاب العلم،باب قول المحدث:حدثنا أو أخبرنا وأنبأنا،ح61.

(5)-إيجاز التعريف في علم التصريف، محمد بن مالك، ص70.

(6) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس،ج3،ص222.

(7)-انظر:جمهرة اللغة، لابن دريد،ج2،ص735،وتاج العروس للزبيدي،ج12،ص264،ج12،ص264،وتهذيب اللغة، للأزهري،م4،ص334.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

من التعريف اللغوي لكلمتي" الحديث" و"المشهور"نستنتج أنّ:

شهرة الحديث في لغة العرب تعني:ظهور الكلام ووضوحه وبيانه، بحيث يصبح ذائعا معروفا بين النّاس.

قال ابن دريد: " وشهرت الحديث إذا أظهرته"[(1)]

وقال الفيومي:" وشهرت الحديث شهرا وشهرة أفشيته فاشتهر"[(2)]

وقال الدكتور البغا تعليقا على قول ابن الصلاح: (ومعنى الشهرة مفهوم)[(3)] أي معروف، إذ إن كل واحد يعلم أنّ الشهرة هي أن يذيع الأمر، وينتشر خبره لدى النّاس.[(4)]

الفرع الثاني: مفهوم الحديث المشهور اصطلاحا:

1 –مفهوم الحديث اصطلاحا: معنى الحديث اصطلاحا مأخوذ من معناه اللغوي لكنه مقيد بالنبي صلى الله عليه وسلم.

ويعرّفه علماء الحديث بأنه:

"ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خلقية ،أو خلقية،وزاد بعضهم حركاته وسكناته في اليقظة و المنام،وقيده البعض بما كان منه صلى الله عليه وسلم بعد النبوة.

وقد يضاف الحديث للصحابي فيقال :حديث موقوف أو إلى التابعي فيقال: حديث مقطوع"[(5)].

2_مفهوم المشهور اصطلاحا:

يمكن تعريف الحديث المشهور من خلال كلام الأئمة المحدثين النقاد، بأنه :" الحديث الذي خرج عن حد الغرابة إلى الانتشار والاستفاضة، إما بتعدد طرقه،أو بجريان العمل به،أو بمكانة

[(1)]-الجمهرة، ج2،ص735.

[(2)]-المصباح المنير، ج1،ص445.

[(3)]-علوم الحديث لابن الصلاح، خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى ديب البغا، ص 155.

[(4)]-المصدر نفسه، هامش الصفحة155.

[(5)]-انظر: مجموع الفتاوى،لابن تيمية،ج18، ص6، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي، ج1، ص10، وقواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسمي، ص21، واليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر، للمناوي، ج1، ص228.

رجاله، أو غير ذلك من القرائن التي تحفه، فتخرجه عن حد الغرابة بحيث يصير معروفا ذائعا"

وقد وقع اختياري لهذا الحد للأسباب الآتية:

1.مقابلة أهل العلم بين الغريب والمشهور:وذلك

من خلال التبويبات التي وضعوها في كتبهم، كقولهم:" استحباب رواية المشاهير، والصدوف عن الغرائب والمناكير"[1].

2.قول الإمام أبي داود وهو يصف سننه:" والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئا من الحديث إلا أنّ تمييزها لا يقدر عليه كل الناس والفخر بها أنها مشاهير فإنه لايحتج بحديث غريب..."[2].

ــ قال الدكتور حمزة المليباري:" فهذا يدل على أنّ المشهور يطلق على كل حديث خرج عن حد الغرابة والشذوذ، إما بوروده من طريق آخر، أو شيوع العمل بمقتضاه".[3]

وقال الدكتور عبد الله السعد:" وقد كان أبوداود يفتخر بشهرة أحاديث كتابه، فهو لا يحتج بحديث غريب، وهذا يدل على أنّ المشهور يطلق على كل حديث خرج عن حد الغرابة والشذوذ".[4]

3.قول ابن منده ــ رحمه اللهــ :" فأما الغريب من الحديث، كحديث الزهري وقتادة وأشباههما من الأئمة ممن يجمع حديثهم : إذا انفرد الرجل عنهم بالحديث يسمى (غريبا)، فإذا روى عنهم رجلان وثلاثة، واشتركوا في حديث سمي: (عزيزا)، فإذا روى الجماعة عنهم حديثا سمي: (مشهورا)" [5]، ومقتضى كلامه أن رواية الجماعة عن إمام مدار تجعله معروفا مشهورا، وإن كان في الأصل آحادا.

هذا وقد تبع ابن منده في تعريفه للمشهور: ابن الصلاح[6]، وتبعه ابن دقيق[1]، وابن

---

(1)-انظر:الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي ،ج2،ص100.

(2)-ضمن ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، الثاني، ص47.

(3)-نظرات جديدة في علوم الحديث، هامش الصفحة90.

(4)-شرح الموقظة، عبد الله السعد، ص67.

(5)-شروط الأئمة الستة، ضمن ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، ص100.

(6)_علوم الحديث، ص157.

كثير[2]، والعراقي[3].

إلى أن جاء الحافظ ابن حجر، فعرّفه(أي المشهور) _ بعد ذكره_ للمتواتر بقوله:

"والثاني- وهو أول أقسام الآحاد- ماله طرق محصورة بأكثر من اثنين، وهو المشهور عند المحدثين"[4]

فعلى كلامه: لا يكون الحديث مشهورا إلا إذا كان في أصله من رواية أكثر من اثنين، وعلى هذا المعنى تكون جل سنن أبي داود من الغرائب، أما على معنى كلام ابن منده فهي من المشاهير التي يفتخر بها.

محل النزاع بين تعريف ابن منده وتعريف ابن حجر:على مذهب ابن حجر لا يجاوز عدد الأحاديث المشهورة نسبة قليلة من مجموع الأحاديث، فيكون غالب السنة من الغرائب، وأقلها المشهور، وهذا خلاف المعروف عند المحدثين الذين ذموا الغرائب، وعابوا روايتها،أما على مذهب المحدثين، فإن **عُظم السنة يكون من المشهور، و أقلها الغرائب**، وهذا يسد الباب سدا محكما على أهل الزيغ المحدثين في هجومهم على السنة وتشكيكهم فيها، وإيهامهم الجهال من قرائهم بأنّ السنة نقلت نقلا آحاديا قرونا متطاولة حتى استقرت في الكتب، والحال أنّ السنة قد انتشرت في عصر التابعين، وأتباعهم، وشاعت، وذاعت، واشتهرت حتى تواترت عن نقلتها من التابعين أو أتباعهم. [5]

وقد يستعمل المشهور ويراد به ما اشتهر على الألسنة، وإن كان له إسناد واحد فقط، أوليس له إسناد أصلا، وقد يكون موضوعا، [6]وهو الذي ألفت في موضوعه كتب الأحاديث المشتهرة[7].

---

(1)-الاقتراح في بيان الاصطلاح، ص272.

(2)-اختصار علوم الحديث، ص159.

(3)-في ألفيته.انظر: فتح المغيث، للسخاوي، ج3، ص34.

(4)-نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، ص49.

(5)-معرفة مدار الإسناد وبيان مكانته في علم علل الحديث، محمد مجير الخطيب الحسيني ، ج2 ص 29-30.

(6)-انظر:تدريب الراوي، السيوطي ج2 ،ص173، فتح المغيث ، السخاوي، ج3، ص36.

(7)-كالمقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة للحافظ شمس الدين السخاوي وكشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الحديث على ألسنة الناس، لإسماعيل بن محمد العجلوني وغيرها.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الثاني: أقسام الحديث المشهور

يقسم الحديث المشهور بحسب دلالته في الاستعمال إلى:

_المشهور الاصطلاحي:(وهو ما خرج عن حد الغرابة) و ذهب الدكتور سعيد المري في كتابه " إعلال الحديث الغريب بالحديث المشهور"[(1)] إلى تقسيمه تقسيما يضارع الغريب، أي إلى مشهور مطلق ومشهور نسبي.

فالمشهور المطلق: وهو المتن الذي يرويه جماعة عن صاحب المتن نفسه، فقد يكون حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد يكون أثرا موقوفا،أو مقطوعا وهو الذي ينصرف إليه الذهن إذا أطلقت الشهرة على حديث ما.

والمشهور النسبي:وهو المتن الذي يرويه جماعة عن راو ليس هو صاحب المتن، بل هو أحد رواته، وهو الأكثر في كلام أهل العلم، حين يقولون:مشهور من حديث فلان [(2)]

وفي نظري هذا التقسيم واقعي وعملي، وكلام أهل العلم يدل عليه دلالة صريحة.

فالحديث إما أن يذيع وينتشر ويشتهر عن صاحبه الأصلي وقائله الأول فتكون شهرته مطلقة، أو أن يذيع ويشتهر عن أحد رجال إسناده فتكون شهرته نسبية:أي بالنسبة إلى أحد الرواة، لا مطلقا إلى صاحبه الأصلي.

والدكتور سعيد المري وإن كان قد صرح بأنه لم يجد في كتب الاصطلاح من نص على هذا التقسيم[(3)] إلا أنه سبقت الإشارة إليه من طرف الحافظ ابن حجر حين علق –فيما نقله عنه عنه السخاوي –على كلام أبي نعيم الأصبهاني (430هـ) في حديث مفتاح الصلاة الطهور[(4)]، الطهور[(4)]، قال: " مشهور لا يعرف من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل بهذا اللفظ عن

---

(1)-طبع هذا الكتاب بدار ابن حزم، (ط1- 1431هـ - 2010م)،ويحتوي على 304صفحة.

(2)-المصدر نفسه، ص 26.

(3)-المصدر نفسه، و الصفحة نفسها.

(4)-أخرجه أحمد، ج 1 ، ص123_129، وأبوداود، ح 61_618، والترمذي، ح3، وابن ماجه، ح 275 ، وغيرهم من طرق عن سفيان الثوري عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير وتحليلها التسليم"، والحديث آفته ابن عقيل،وفيه لين، انظر:تهذيب التهذيب، ج6، ص13،والحديث اختلف أهل العلم في حكمه بين من يقويه ومن يضعفه.انظر:التلخيص الحبير، لابن حجر، ج1، ص216.

علي"[1].

قال ابن حجر: " إنّ مراده أنه مشهور من حديث ابن عقيل، فهذه الشهرة النسبية نظير الغرابة النسبية"[2].

والدكتور سعيد المري نفسه استدل بهذا القول من الحافظ ابن حجر لإثبات وجود هذا القسم من المشهور (أي المشهور النسبي) [3] فإذا وجدت شهرة نسبية فلا شك في وجود شهرة مطلقة.

ــالمشهور على الألسنة، فيقسم بالنظر إلى عدة اعتبارات، أذكر منها:

.اعتبار الوسط الذي اشتهر فيه: فيقال : مشهور عند الفقهاء، مشهور عند الأصولين، مشهور عند الأدباء...ممثلين لكل نوع بما يناسبه.

.اعتبار درجته فيقولون: مشهور صحيح، مشهور ضعيف، مشهور موضوع. ممثلين لكل نوع بما يناسبه. [4]

[1]ــ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء،أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ج8، ص372.

[2]- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ج3، ص32.

[3]-إعلال الغريب بالمشهور، سعيد المري ص27.

[4]-انظر: منهج النقد في علوم الحديث،نور الدين عتر، ص 410-412.

المطلب الثالث: عناية المحدثين بالحديث المشهور

أولى علماء الحديث عناية بالغة بالأحاديث المشهورة والمعروفة، جمعًا ورواية وتدوينا، ورغبوا في الاشتغال بها، وبالمقابل ذموا رواية الغرائب، والاشتغال بها، بل إنّ شهرة الحديث برزت كمقصد ومنهج واضح في دواوينهم ومصنفاتهم.

قال ابن المبارك: "العلم هو الذي يجيئك من ههنا ومن ههنا"،قال ابن رجب معقبا عليه: "يعني المشهور"[(1)]، "وقال مالك: "شرّ العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس"[(2)].

وبوّب الخطيب البغدادي في الجامع بابًا في "استحباب رواية المشاهير والصدوف عن الغرائب والمناكير"،وروى بسنده عن النضر بن محمد قال: "أفضل العلم المشهور"[(3)] .

وقال –أي الخطيب-:" ينبغي للمنتخب أن يتخير الأسانيد العالية، والطرق الواضحة، والأحاديث الصحيحة والروايات المستقيمة، ولا يذهب وقته في الترهات: من تتبع الأباطيل، والموضوعات، وتطلب الغرائب والمنكرات"[(4)].

وبوّب أبو سعد السمعاني في "أدب الإملاء" بابًا في: "استحباب رواية المشاهير والعدول عن الغرائب والمناكير"، وروى –أي السمعاني- بسنده عن شعبة :قال:" اكتبوا المشهور عن المشهور"[(5)].

وعن أبي سعد السلمي قال:

لا ترو غير الواضح المشهور من قـــول النبــــي الأريحـــي الأبطحي
ودع الغرائـــب والمناكير الــــتي في الحشر إن نوقشت فيها تستحي[(6)]

وقال ابن رجب –رحمه الله- في شرح العلل:"وقد كان السلف يمدحون المشهور من الحديث ويذمون الغريب منه في الجملة" ،ثم ذكر طائفة من أقوال أهل العلم في التأكيد على

(1)-شرح علل الترمذي،لابن رجب، ج1،ص172.
(2)-رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،ج2، ص100، رقم1292.
(3)-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2، ص100.
(4)- المصدر نفسه، ص159.
(5)-أدب الإملاء والاستملاء، ص71.
(6)-المصدر نفسه، ص73.

ذلك[1].

كل هذه النصوص التي ذكرتها وغيرها، تدل على مدى عناية علماء الحديث بالأحاديث المشهورة تأصيلا، وأما تطبيقا فهاهو الإمام مالك_رحمه الله_يصنف الموطأ فيختار أحاديثه الموافقة لعمل أهل المدينة،وهي المعروفة، والمشهورة، والمعمول بها في المدينة، وهذا" الإمام أبو داود لما كان غرضه الأكبر من تأليفه لسننه هو بيان أصلح الأحاديث للاحتجاج، وحيث أنه لم يسبقه أحد إلى مثل استقصائه في جمع هذا النوع من الأحاديث، وحيث إن الأحاديث منها ما هو مشهور تتابع الرواة على نقله وما هو غريب تفرد بروايته آحاد منهم، وحيث إن المشهور هو الأقرب إلى الصحة والأقوم بالحجة على الخصوم لذلك كله خص أبو داود المشاهير من أحاديث الأحكام بالجمع دون الغرائب، لأنها هي الأولى بالجمع، لكونها الأقرب إلى صحة الاحتجاج بها"[2].

يقول –رحمه الله-:" والأحاديث التي وضعتها في كتاب السنن أكثرها مشاهير، وهي عند كل من كتب شيئا من الحديث، إلا أن تمييزها لا يقدر عليه كل الناس، والفخر بها أنها مشاهير، فإنه لا يحتج بحديث غريب ولو كان من رواية مالك ويحي بن سعيد والثّقات من أئمة العلم"[3].

ولقد سار الإمامان –البخاري ومسلم- على نهج سلفهم من المحدثين، وجاء صحيحاهما كحلقة تواصل مع بقية دواوين السنة، فظهرت العناية بالأحاديث المشتهرة كمقصد مهم وواضح في مسنديهما كما صرح بذلك الإمام مسلم في مقدمة صحيحه.

قال –رحمه الله-:"وتداولها أهل العلم فيما بينهم"[4] أي تناقلوها، أشار بهذه الجملة إلى أن المطلوب أن تكون الأسانيد مشهورة بين أهل الحديث، واحترز بذلك عن الأسانيد الغريبة[5].

وقال –رحمه الله- مبينا سبب تأليفه لصحيحه: "فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثا، فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة، وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة،مما نقله الثقات المعروفون بالصدق والأمانة..." [6].

---

[1]-شرح علل الترمذي، ج2، ص233.

[2]-الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين،حاتم العوني، ص33.

[3]-ضمن ثلاث رسائل في علم مصطلح الحديث، رسالة أبي داود إلى أهل مكة، اعتنى بها عبد الفتاح أبو غدة، ص47.

[4]-الجامع الصحيح، المقدمة، ص3.

[5]-قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح الإمام مسلم بن الحجاج، محمد بن علي الإثيوبي الولوي، ج1، ص377.

[6]-الجامع الصحيح، المقدمة، ص7.

أي التي اشتهرت أسانيدها بين المحدثين، وتداولوها فيما بينهم، فهو بمعنى قوله السابق أول المقدمة:"بالأسانيد التي نقلت وتداولها أهل العلم فيما بينهم". وروى –أي الإمام مسلم–في المقدمة من طريق حماد بن زيد أنّ أيوب قال لرجل:" لزمت عمروا !؟ قال: نعم، إنه يجيئنا بأشياء غرائب !! قال: يقول له أيوب: إنما نفر أو نفرق من تلك الغرائب"[(1)]

وفي هذا دلالة واضحة على المنهج الذي خطه الإمام مسلم لنفسه في صحيحه ألا وهو قصد جمع الأحاديث المشهورة بين أهل العلم.

ومما يؤكد مدح أهل الحديث للمشهور وترغيبهم فيه ، ذمهم الغرائب من الروايات وهذا ما سأبيّنه في المطلب الموالي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[(1)]–رواه مسلم في مقدمة الصحيح، ج1، ص18.

المطلب الرابع: موقف المحدثين من الغرائب

تبين فيما سبق مدى حرص المحدثين على الأحاديث المشهورة، وبالمقابل ذمهم للغرائب وروايتها وصرف الأوقات في تتبعها والاشتغال بها،وهذه طائفة من أقوالهم في التأكيد على ذلك.

قال إبراهيم النخعي: "كانوا يكرهون الغريب من الحديث"[(1)] ،وقال أحمد:"شرّ الحديث الغرائب التي لا يعمل بها ولا يعتمد عليها"[(2)].

وبوّب من صنف في علوم الحديث أبوابا في ذم أهل الحديث للغرائب،كما فعل الخطيب البغدادي حين بوب في الكفاية بما يقتضي ترك الغرائب فقال:"باب ترك الاحتجاج بمن غلب على حديثه الشواذ،ورواية المناكير والغرائب من الأحاديث"[(3)].

ومع ما تقدم من كلامهم في ذم الغريب إلا أنه يتعين حمله على الغرائب المنكرة، لما هو معلوم عند أهل الحديث من أنّ الغرائب فيها أحاديث صحيحة.

ولذلك قال الخطيب:"والغرائب التي كره العلماء الاشتغال بها، وقطع الأوقات في طلبها، إنما هي ما حكم أهل المعرفة ببطوله؛ لكون رواته ممن يضع الحديث، أو يدعي السماع، فأما ما استغرب لتفرد راويه به وهو من أهل الصدق والأمانة فذلك يلزم كتبه ويجب سماعه وحفظه"[(4)].

قال ابن رجب: "وقد كان السلف يمدحون المشهور من الحديث ويذمون الغريب منه في الجملة"[(5)].

قوله "في الجملة" بمعنى الغالب على الغرائب الضعف والنكارة وإلا ففيها بعض الصحيح الذي يخرج عن حيّز الذم.

[(1)]-أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل، ص565، والخطيب البغدادي في الكفاية، ص141، وشرف أصحاب الحديث، ص125_126، من طريق محمد بن جابر بن سيار السحيمي عن الأعمش عن إبراهيم به، ومحمد بن جابر متكلم فيه، انظر:تهذيب التهذيب، ج9، ص77_78.

[(2)]-أخرجه أبوبكر الخلال قال:" أخبرنا علي بن عثمان بن سعيد بن نفيل الحراني قال:سمعت أبا عبد الله يقول"، وذكره، والخطيب في الكفاية، ص141،وأبي يعلى في طبقات الحنابلة، ج1، ص229، وقال عن الحراني: ورع عنده عن إمامنا أشياء، سمع منه أبو بكر الخلال وغيره".

[(3)]-الكفاية في علم الرواية، ص140..

[(4)]-الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، ج2، ص160.

[(5)]-شرح علل الترمذي، ج1، ص233.

كما أن ذمهم للغرائب والمناكير، كان بسبب اشتغال البعض بها على حساب المشهور الصحيح، يقول الخطيب –وهو يصف الجو العلمي الذي ساد بين طلبة العلم في زمانه مستنكرا له، ومبينا أنه منهج مخالف لما عليه أئمة الحديث المتقدمين-:"أكثر طالبي الحديث في هذا الزمان يغلب عليهم كتب الغريب دون المشهور، وسماع المنكر دون المعروف، والاشتغال بما وقع فيه السهو والخطأ من رواية المجروحين والضعفاء، حتى لقد صار الصحيح عند أكثرهم مجتنبا، والثابت مصدوفا عنه مطرحا وذلك لعدم معرفتهم بأحوال الرواة ومحلهم، ونقصان علمهم بالتمييز، وزهدهم في تعلمه، وهذا خلاف ما كان عليه الأئمة المحدثين، والأعلام من أسلافنا الماضين"[(1)].

قال ابن رجب:"وهذا الذي ذكره الخطيب حق، ونجد كثيرا ممن ينتسب إلى الحديث، لا يعتني بالأصول الصحاح كالكتب الستة ونحوها، ويعتني بالأجزاء الغريبة، وبمثل مسند البزار، ومعاجم الطبراني، أو أفراد الدارقطني، وهي مجمع الغرائب والمناكير"[(2)].

هذا وقد كان بعض أئمة الحديث النقاد يهتمون بحفظ الغرائب والمناكير والموضوعات بغرض صيانة الصحيح، رأى أحمد بن حنبل يحي بن معين يكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس فإذا اطلع عليه إنسان كتمه، فقال له أحمد:" تكتب صحيفة معمر عن أبان عن أنس وتعلم أنها موضوعة، فلو قال لك قائل: أنت تتكلم في أبان ثم تكتب حديثه على الوجه؟ قال: رحمك الله يا أبا عبد الله أكتب هذه الصحيفة عن عبد الرزاق عن معمر على الوجه كلها، وأعلم أنها موضوعة، حتى لا يجيء إنسان بعده، ويجعل بدل أبان ثابتا فيرويها عن ثابت عن أنس، فأقول له: كذبت، إنما هي أبان لا ثابت"[(3)].

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي:"والناقد يحفظ تلك الغرائب للمعرفة، لا لروايتها ولا للاحتجاج بها، إنما يهجرها الأئمة ولا يعولون عليها...وكان لأصحاب الحديث لغة يعبرون بها عن تلك الغرائب، قال الإمام أحمد: إذا سمعت أصحاب الحديث يقولون: هذا الحديث غريب أو فائدة، فاعلم أنه خطأ، أو دخل حديث في حديث، أو خطأ من المحدث، أو حديث ليس له إسناد وإن كان قد روى شعبة وسفيان، فإذا سمعتهم يقولون: لا شيء فاعلم أنه حديث صحيح"[(4)].

---

(1)-الكفاية في علم الرواية، ص141.

(2)-شرح علل الترمذي، ج1، ص233.

(3)-المصدر نفسه، ج1، ص130.

(4)-الكفاية في علم الرواية، ص172

وقوله:"لا شيء" أي ليس هو من جنس ما يعتنون بتحصيله ومعرفته، وإنما هو حديث صحيح مشهور.

وقد كان النقّاد –مع معرفتهم بتلك الغرائب- يمدحون المشهور من الحديث، ويذمون الغريب منه، خشية أن يتتبعها من لاعلم له، فيسقط فيها"[1]. انتهى كلامه.

وربما يذكرون بعض الغرائب المنكرة بغرض القدح في أصحابها، مثل ما يوجد في كتب الضعفاء كالمجروحين لابن حيان والضعفاء للعقيلي...قال ابن حبان في " المجروحين" في ترجمة عمرو بن راشد القرشي:"يضع الحديث على مالك، وابن أبي ذئب وغيرهما من الثقات، لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه، فكيف الرواية عنه؟".[2]

وهذا الأمر مطّرد في عمل النقاد فبسبر مرويات الراوي الصحيحة والمنكرة تتبين درجته في سلم الجرح والتعديل،"ومن المحدثين من خص الغرائب بالتدوين، وقصد جمعها في مصنفات خاصة بغرض إكمال خدمة السنة، فبعد أن جمعت المشاهير اهتم بعض حفاظ القرن الرابع بهذا الصنف من الروايات، تتميمًا لخدمة السنة، فقامت مؤلفات ضخام لجمع تلك الغرائب، مثل: المعجم الأوسط للطبراني، والغرائب، والأفراد للدارقطني، وهما أكبر كتب الغرائب وأجلها مطلقا، بل حتى بعض من عمد إلى التأليف على منهج السنن، أي في جمع أحاديث الأحكام، لم يعمد إلى جمع المشاهير كما فعل أبو داود، وإنما عمد إلى جمع غرائب أحاديث الأحكام، كما فعل الإمام الدارقطني في كتابه الجليل السنن، وكأنه بذلك يتمم عمل أبي داود، ويؤلف كتابًا في الزوائد عليه.[3]

والخلاصة أنّ المحدثين قصدوا بالجمع،والرواية،والتدوين الاهتمام بالأحاديث المشهورة المعروفة وشغلوا أوقاتهم في طلبها، دون الغرائب التي عامتها مناكير، وما وقع منهم من اشتغال بالغرائب إنما كان لأغراض علمية كما ذكرت. والله أعلم.

(1)–النكت الجياد، عبد الرحمن المعلمي، ص19.

(2)–المجروحين ، ابن حبان،ج2، ص93.

(3)–الحد الفاصل بين المتقدمين والمتأخرين، حاتم العوني، ص45.

المبحث الثاني: معالم شهرة الحديث في الصحيحين

برزت عناية الشيخين بشهرة الحديث في صحيحيهما في معالم واضحة تبين وتؤكد المنهج الذي اعتمداه في انتقاء الأحاديث، وفي هذا المبحث محاولة لإبراز أهم هذه المعالم والمتمثلة في: مكانة الصحيحين،وعناية الشيخين بمسانيد أشهر أئمة الأمصار،و عنايتهما بأصح الأسانيد،و عنايتهما بسوق الشواهد والمتابعات،وعنايتهما بالأحاديث التي جرى بها العمل،وتقطيع الحديث وتكراره،واستفادة الشيخين من الأئمة المحدثين في عصرهما، وكثرة المستخرجات على الصحيحين،وعنايتهما بالأحاديث التي جرى بها العمل، وكثرة المستخرجات على الصحيحين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب الأول: مكانة الصحيحين

حظي الصحيحان عند العلماء بمترلة عالية ودرجة رفيعة، حتى عدوهما أصح الكتب بعد كتاب الله العظيم، وتلقتهما الأمة بالقبول الحسن، وتوجهت عناية أهل العلم إليهما، بين شارح، ومختصر، ومعلق، ومستخرج عليهما أو على أحدهما...وزخرت كتب العلماء بالثناء عليهما وبيان الاتفاق على مترلتهما التي لم يصل إليها أي من كتب السنة، فمن أقوالهم:

قول ابن الصلاح: "وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[1]،وقال النووي: "اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز، الصحيحان البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول"[2]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأما كتب الحديث المعروفة مثل البخاري ومسلم فليس تحت أديم السماء كتاب أصح من البخاري ومسلم بعد القرآن"[3].

قال ابن كثير:"أول من اعتنى بجمع الصحيح: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتلاه صاحبه وتلميذه أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، فهما أصح كتب الحديث"[4].

قال الإمام وليّ الله الدهلوي:"أما الصحيحان؛ فقد اتفق المحدثون على أنّ جميع ما فيهما من المتصل المرفوع صحيح بالقطع، وأهما متواتران إلى مصنفيهما، وأن كل من يهوّن أمرهما فهو مبتدع، متبع غير سبيل المؤمنين"[5].

وقال الشيخ الألباني: "كيف والصحيحان هما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، باتفاق علماء المسلمين من المحدثين وغيرهم، فقد امتازا على غيرهما من كتب السنة بتفردهما بجمع أصح الأحاديث الصحيحة، وطرح الأحاديث الضعيفة والمتون المنكرة؛ على قواعد متينة، وشروط دقيقة، وقد وُفقا في ذلك توفيقا بالغا لم يوفق إليه من بعدهم ممن نحا نحوهم في جمع الصحيح كابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم وغيرهم، حتى صار عرفا عامّا؛ أنّ الحديث إذا أخرجه الشيخان أو

---

(1)-معرفة أنواع علم الحديث، ابن الصلاح،ص84.

(2)-شرح صحيح مسلم، النووي،ج 1، ص 14.

(3)-الفتاوى الكبرى، ج5، ص86 .

(4)-الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث، ص2.

(5)-حجة الله البالغة، ص282..

أحدهما فقد جاوز القنطرة ودخل في طريق الصحة والسلامة، ولا ريب في ذلك وأنه هو الأصل عندنا" [1].

وقال العلاّمة طاهر بن صالح الجزائري:"أول من صنف في الصحيح المجرد الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، وتلاه الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري، وكان مسلم ممن أخذ على البخاري، واستفاد منه، وهو مع ذلك يشاركه في أكثر شيوخه، وكتاباهما أصح كتب الحديث" [2].

وغيرها من الأقوال الأقوال والنصوص التي تشهد شهادة قاطعة بمكانة الصحيحين لدى علماء الأمة، وكفى بها شهادة ممن حفظ هذا الدين بتبحره في علم الحديث وبرع فيه.

قال الدكتور إبراهيم ملا خاطر:"فالقطع بأصحية الصحيحين متفق عليه بين علماء الحديث قاطبة، وأهل السلف عامة -كما ذكره سراج الدين البلقيني رحمه الله- والإجماع على أمر ما مرتبط ارتباطا وثيقا بأهل فنه، فالإجماع في الفقه مرتبط بالفقهاء، وفي النحو مرتبط بالنحويين، وفي الحديث مرتبط بالمحدثين"[3].

ولا ريب أنّ الصحيحين لم يبلغا هذه الدرجة العالية، إلا لجلالة قدر مصنفيهما ورسوخ أقدامهما في علم الحديث، ولما تميز به كتاباهما من مزايا.

تنبيه:

يبقى عمل الشيخين في صحيحيهما جهدا بشريا يعتريه ما يعتري البشر، لذلك انتقدت بعض أحاديثهما من قبل جماعة من الحفاظ، وألفوا في ذلك مؤلفات أذكر منها:

- علل صحيح مسلم: لأبي الفضل محمد بن أبي الحسن بن عمار الشهيد، (ت 323هـ).
- التتبع: لأبي الحسن علي بن عمر بن أحمد المعروف بالدارقطني، (ت 385هـ).
- الأجوبة عما أشكل الدارقطني على صحيح مسلم: لأبي مسعود الدمشقي، (ت 400هـ).

---

[1] -شرح العقيدة الطحاوية"مقدمة الشيخ الألباني"، ص22_23.

[2] -توجيه النظر إلى أصول الأثر، ج1، ص288.

[3] -مكانة الصحيحين، ص123.

• تقييد المهمل وتمييز المشكل: لأبي علي الحسين بن محمد الغساني الجيّاني، (ت 498هـ).

• غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في "صحيح مسلم" من الأحاديث المقطوعة: رشيد الدين أبو الحسين يحي بن علي العطار، (ت 662هـ).

لكن انتقاد هؤلاء الحفاظ لبعض أحاديث الصحيحين، كان موجّها للأسانيد دون المتون، أو لأحاديث أخل فيها الشيخان بشرطيهما في الكتابين.

قال ابن حجر:"إذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان من الحديث إلا ما لا علّة له، أو له علّة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة"[1].

قال ابن الصلاح:"ما انفرد به البخاري أو مسلم مندرج في قبيل ما يقطع بصحته لتلقي الأمة كل واحد من كتابيهما بالقبول...سوى أحرف يسيرة تكلم عنها بعض أهل النقد من الحفاظ كالدارقطني وغيره، وهي معروفة عند أهل هذا الشأن"[2].

وقال: "فما أخذ على البخاري ومسلم، وقدح فيه معتمد من الحفاظ، فهو مستثنى مما ذكرناه، لعدم الإجماع على تلقيه بالقبول، وما ذلك إلا في مواضع قليلة"[3].

قال ابن حجر بعد أن ذكر كلامه هذا:"وهو احتراز حسن"[4].

-وتتبع مكانة الصحيحين:

مكانة الشيخين وجلالة قدرهما:

لقد أفاض العلماء في الثناء على البخاري ومسلم، وزخرت كتبهم ببيان فضلهما، وإمامتهما في علم الحديث، وأنا أذكر –بمشيئة الله– طائفة من أقوالهم في ذكر فضلهما:

(1)-هدي الساري، ص506.

(2)-علوم الحديث، ص10 .

(3)-شرح النووي على صحيح مسلم، ج1، ص20.

(4)-هدي الساري، ص344.

-ما قيل في البخاري:

كان البخاري –رحمه الله- موضع التقدير من شيوخه وأقرانه، تحدثوا عنه بما هو أهل له، وأنزلوه المترلة التي تليق به، وكذلك غيرهم ممّن عاصره أو جاء بعده، وقد جمع مناقبه الحافظان الكبيران الذهبي وابن حجر العسقلاني في مؤلفين خاصين، كما ذكر ذلك الذهبي في تذكرة الحفاظ[1] وابن حجر في تهذيب التهذيب[2].

ومما قيل فيه:

قال قتيبة بن سعيد:"جالست الفقهاء والزهاد والعباد، فما رأيت منذ عقلت مثل محمد بن إسماعيل البخاري، وهو في زمانه كعمر في الصحابة"[3] ، فهذه تزكية الشيخ وشهادة بما بلغه تلميذه من رفعة مترلة وعلو قدر.

وقال محمد بن بشار:"حفاظ الدنيا أربعة: أبو زرعة بالريّ، ومسلم بن الحجاج بنيسابور، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بسمرقند، ومحمد بن إسماعيل ببخارى"[4] ،فهذا البخاري يذكر مع هؤلاء الأساطين، فكيف وقد فضّل عليهم؟.

قال إبراهيم الخواص: "رأيت أبا زرعة كالصبي جالسا بين يدي محمد بن إسماعيل، يسأله عن علل الحديث"[5].

وقال مسلم للبخاري: "لا يبغضك إلا حاسد، وأشهد أنه ليس في الدنيا مثلك"[6].

وقال عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي:"هو أعلمنا وأفقهنا وأكثرنا طلبا"[7].

وقال أبو عيسى الترمذي:"لم أرَ بالعراق ولا بخراسان في معنى العلل والتاريخ ومعرفة

---

(1)-تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج2، ص104.

(2)-تهذيب التهذيب، لابن حجر، ج9، ص45.

(3)-سير أعلام النبلاء، ج12، ص431، جزء فيه ترجمة البخاري، الذهبي، ص51.

(4)-تهذيب الكمال،للمزي، ج15، ص214، تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج2، ص126، سير أعلام النبلاء، ج12، ص76.

(5)-سير أعلام النبلاء،ج 12، ص407، جزء فيه ترجمة البخاري، ص42.

(6)-سير أعلام النبلاء، ج12، ص436، البداية والنهاية، ج11، ص26.

(7)-هدي الساري، ج1، ص485، تغليق التعليق، ج5، ص410.

الأسانيد أعلم من محمد بن إسماعيل"[1].

وغير ذلك من كلام أهل العلم من شيوخه وأقرانه وتلاميذه، مما يشهد له بالتقدم والسبق في علم الحديث.

-ما قيل في مسلم:

لقد نال الإمام مسلم حظا وافرا من ثناء العلماء عليه، من شيوخه وأقرانه وتلاميذه، شهدوا له بالعلم والفضل والإمامة في علم الحديث.

ومما قيل فيه:

قال أحمد بن سلمة: "رأيت أبا زرعة وأبا حاتم يقدمان مسلم بن الحجاج في معرفة الصحيح على مشايخ عصرهما"[2].

لم يترل الإمام مسلما هذه المترلة رجلان عاديان، إنما هما جبلان في علم الرجال والعلل، فأكرم بها من مترلة.

وقال محمد بن عبد الوهاب الفراء:"كان مسلم بن الحجاج من علماء الناس، ومن أوعية العلم"[3].

وقال الذهبي في ترجمته:"هو الإمام الكبير الحافظ المجود الحجة الصادق، أبو الحسين، مسلم"[4].

وقال عنه الإمام النووي:"اعلم أن مسلما رحمه الله، أحد أعلام أئمة هذا الشأن،و كبار المبرزين فيه"[5].

وماذكرته مجرد أمثلة على ما حظي به الإمام مسلم من ثناء وتقدير مما هو أعظم من أن تحصيه بعض الصفحات.

---

(1)-العلل الصغير، ج5، ص738.

(2)-تهذيب الكمال، للمزي،ج27، ص506، تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج2، ص126.

(3)-سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج12، ص579.

(4)-سير أعلام النبلاء، ج12، ص557.

(5)-شرح صحيح مسلم، المقدمة، ج1، ص10.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

إن هذه المكانة التي بلغها الشيخان أثمرت ثمرة طيبة تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، أثمرت أعظم إنتاج بشري جمع سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، أصح الكتب بعد كتاب الله العظيم.

قال ابن حجر: "جلالتهما في هذا الشأن وتقدمها في تمييز الصحيح على غيرهما"[1].

وقال السخاوي:"وهي جلالة قدر مصنفيهما ورسوخ قدمهما في العلم وتقدمهما في المعرفة بالصناعة وجودة تمييز الصحيح من غيره وبلوغهما أعلى المراتب في الاجتهاد والإمامة في وقتهما"[2].

وقال العلامة طاهر الجزائري:"لجلالة مؤلفيهما في هذا الأمر وتقدمها على من سواهما في ذلك"[3].

مزايا الصحيحين:

لقد اشتمل الصحيحان على جملة عظيمة من الخصائص والمزايا القيّمة، التي جعلتهما أعظم وأجل دواوين السنة، فمما امتازا به تلقي الأمة لهما بالقبول والتسليم، وكونهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى بإجماع العلماء، كما أنهما أوّل ما صنف في الصحيح المجرد، وأحاديثهما في أعلى درجات الصحة.

1-تلقي الأمة لهما بالقبول:

لقد تلقّت الأمة الإسلامية الصحيحين بالقبول والتسليم، وهذا ما لم يحصل لأي من الكتب غيرهما، ويتمثل هذا التلقي في المكانة السامية التي بلغها الكتابان ومصنفيهما لدى العلماء والعامة.

يقول ابن الصلاح:"لكن اتفاق الأمة عليه (يقصد ما اتفق عليه الشيخان) لازم من ذلك وحاصل معه، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول"[4].

ويقول النووي:"واتفق العلماء على أنّ أصح الكتب المصنفة صحيحا: البخاري ومسلم...

---

[1]-نزهة النظر، ص60.

[2]-فتح المغيث، ج1، ص52.

[3]-توجيه النظر، ج1، ص322.

[4]-علوم الحديث، ص28،وأيضا في صيانة صحيح مسلم،ابن الصلاح، ص85.

وأجمعت الأمة على صحة هذين الكتابين ووجوب العمل بأحاديثهما"[1]، وقال: "وتلقتهما الأمة بالقبول"[2].

وهذا ماذهب إليه: العراقي[3]، وابن حجر[4]، والسخاوي[5] والسيوطي[6]، وغيرهم.

2-كونهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى:

يعدُ الصحيحان بإجماع العلماء أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، وقد توافرت النقول عن العلماء في ذلك منها:

قول ابن الصلاح: "وكتاباهما أصح الكتب بعد كتاب الله العزيز"[7].

وقول النووي: "وهما أصح الكتب بعد القرآن العزيز"[8].

وقول ابن تيمية:"إنّ الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم"[9].

3-كونهما أول ما صنف في الصحيح المجرد:

اتفقت كلمة العلماء على أن الإمام البخاري أول من صنف كتابا مجردا لجمع الصحيح، ثم تبعه تلميذه الإمام مسلم فنسج على منواله وجعل كتابه خاصا بما صح من الأحاديث.

قال ابن الصلاح:"أول من صنف الصحيح: البخاري أبو عبد الله بن إسماعيل الجعفي مولاهم، وتلاه: أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري القشيري –من أنفسهم–"[10].

(1)-تهذيب الأسماء واللغات، ج1، ص73_74.

(2)-شرح النووي على صحيح مسلم، المقدمة، ج1، ص30.

(3)-التبصرة والتذكرة (شرح العراقي على ألفيته في الحديث)، ج1، ص69.

(4)-نزهة النظر، ص62.

(5)-فتح المغيث، ج1، ص64.

(6)-تدريب الراوي، ص84 و95.

(7)-علوم الحديث، ص18.

(8)-تقريب النووي (مع شرحه تدريب الراوي)، ص57.

(9)-مجموع الفتاوى، ج1، ص14.

(10)-علوم الحديث، ص10.

وتظهر أهمية هذا النوع من التأليف في صيانة الدين وحفظه، ففي عصر الشيخين كثرت الروايات وتعددت وتكلم فيها من بضاعته مزجاة في علم الحديث، فجاء الصحيحان ليسدا هذه الثغرة، ويقدما للناس صحيح سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم .

قال مسلم في مقدمة صحيحه معبرا عن سبب تأليفه له :"فلولا الذي رأينا من سوء صنيع كثير ممن نصب نفسه محدثا فيما يلزمهم من طرح الأحاديث الضعيفة والروايات المنكرة وتركهم الاقتصار على الأحاديث الصحيحة المشهورة مما نقله المعروفون بالصدق والأمانة، بعد معرفتهم وإقرارهم بألسنتهم أنّ كثيرا مما يقذفون به إلى الأغبياء من الناس هو مستنكر ومنقول عن قوم غير مرضيين ممن ذم الرواية عنهم أهل الحديث..."(1).

4-كونهما أصح الصحيح:

يعرف الحديث الصحيح بأنه:"الحديث المسند، الذي يتصل إسناده بنقل العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا ولا يكون معللا"(2).

وقد امتازت أحاديث الصحيحين بكونها في أرفع درجات الصحة، لاشتمالها على شروط الصحيح من اتصال في السند، وعدالة للرواة، وضبطهم، والسلامة من الشذوذ، والسلامة من العلّة.

ولهذا نجد كتب المصطلح تقسم الحديث الصحيح إلى مراتب أعلاها ما كان في الصحيحين، وهذه المراتب هي على النحو التالي:

1. ما اتفق عليه الشيخان.
2. ما انفرد به البخاري.
3. ما انفرد به مسلم.
4. ما كان على شرطهما.
5. ما كان على شرط البخاري.

(1)-مقدمة الصحيح، ص8.

(2)-انظر: علوم الحديث، لابن الصلاح، ص9، وتدريب الراوي،للسيوطي، ج1، ص63.

6. ما كان على شرط مسلم.

7. صحيح عند غيرهما.

قال ابن الصلاح بعد ذكره لهذه الأقسام:"هذه أمهات أقسامه، وأعلاها الأول، وهو الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا: صحيح متفق عليه"[1].

وقال العراقي:" اعلم أنّ درجات الصحيح تتفاوت بحسب تمكن الحديث من شروط الصحة، وعدم تمكنه وإنّ أصح كتب الحديث: البخاري، ثم مسلم..." [2].

وقال ابن حجر بعد تعريفه للصحيح لذاته:"وتتفاوت رتبه بسبب تفاوت هذه الأوصاف، ومن ثم قدم صحيح البخاري، ثم مسلم،ثم شرطهما،..."[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1)-علوم الحديث، مصدر سابق، ص28.

(2)-انظر: التقييد والإيضاح، ص22ومابعدها.

(3)-نزهة النظر، ص275.

المطلب الثاني: اعتماد الشيخين أسانيد أشهر أئمة الأمصار

إن إقامة الدليل المادي على أمر يتعلق بدفع الشك والريب عمن يعيش بعقيدة واهنة، ويلاحظ التحريف والتغيير في كتب الديانات السابقة، ويقرأ الأناجيل المتضاربة، فينظر إلى السنة النبوية بعين الحيرة والارتياب، وإن تحقيق الطمأنينة في انضباط النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم له من الأهمية والأثر ما هو ظاهر[1].وقد قيض الله عز وجل لحفظ سنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم حفاظًا أفذاذا أفنوا أعمارهم وبذلوا كل نفيس في تحصيل العلم و وتبليغه، وصيانته من كل دخيل، منذ عهد الصحابة –رضي الله عنهم- الذين تلقوه غضا طريا من فيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن سيرته وسنته وهو يعيش بين ظهرانيهم إلى عهد أتباعهم والتابعين لهم الذين تحملوا عنهم العلم والإيمان، وصارت إليهم أمانة تبليغه وصيانته، "وعن هؤلاء وأمثالهم نقلت إلينا السنة النبوية، وإليهم يرجع الفضل في حفظ الرسالة المحمدية، فإن رواياتهم هي التي تدل على النبوة الواضحة، والمحجّة البيضاء، وإذا نظرنا في تواريخ وفياتهم بدا لنا أن الله عز وجل قد نسأ في آجالهم، وأطال حياتهم حتى يتسنى لكثير من الناس أن يتلقوا عنهم ما حفظوا من العلم النبوي، ويعوا أقوالهم وينشروا رواياتهم، ولم يكن العلم يومئذ إلا معرفة هذا الشأن"[2].

وعلى هؤلاء يعتمد في نقل السنة النبوية، وإلى هؤلاء يرجع الفضل في حفظ الرسالة المحمدية، رحلوا وتفرقوا في الأمصار، وتصدوا لتبليغ هذا الدين وتعليمه، فأصبحوا قبلة كل طالب ووجهة كل قاصد، حتى اشتهرت كل بلدة من البلدان الإسلامية بحفاظ الحديث، تدور عليهم أحاديث بلادهم الصحيحة، ويعتبرون مخارج لتلك الأحاديث، بمعنى إذا ورد الحديث عن طريقهم أصبح قوي الإسناد، وصحيح المخرج.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله-:"فسر القاضي أبو بكر بن العربي مخرج الحديث بأن يكون من رواية راو قد اشتهر برواية حديث أهل بلده، كقتادة في البصريين وأبي إسحاق السبيعي في الكوفين، وعطاء في المكيين وأمثالهم، فإن حديث البصريين مثلا إذا جاء عن قتادة ونحوه كان مخرجه معروفا، وإذا جاء عن غير قتادة ونحوه كان شاذا، -والله أعلم".[3][1]

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[1] -الرجال الستة الذين تدور عليهم أسانيد الحديث، إبراهيم بن علي آل كليب، ص17.

[2] -المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه، محمد الثاني عمر موسى، ج1، ص56، نقلا عن الرسالة المحمدية لسليمان الندوي. بتصرف.

[3] -النكت على كتاب ابن الصلاح،ص78.

ومن ثم فإن معرفة الحفّاظ الذين تدور عليهم الأسانيد، وتأكيد دورانها عليهم، بإحصاء عدد مروياتهم وإثبات حديثهم، من خلال معرفة تلاميذهم وشيوخهم وتفرقهم في أقطار البلاد الإسلامية، له أهمية بالغة، لما يترتب عليه من تحقيق الطمأنينة إلى أن السنة النبوية والأحاديث المحمدية لا ضير أن يكون بين رواتها وضاعون أو مخلطون، مادام أن الحديث المقبول يدور إسناده على أئمة حفاظ متفق على جلالتهم وإتقانهم [2].

وقد أردك العلماء أهمية هذا الباب من العلم، فاعتنوا بمعرفة الحفاظ وبيان مراتبهم، والرواة عنهم فصنفوا في ذلك وبوبوا.

فهذا الإمام الشافعي (204ه)_رحمه الله_ في كتابه الرسالة، يذكر طائفة من العلماء، نقلة السنة النبوية ممن تقوم الحجة برواياتهم وتثبت السنة بها[3]، وهذا الإمام أبو داود الطيالسي، المتوفى سنة (204ه) –رحمه الله– يقول:"وجدنا العلم عند أربعة: الزهري وقتادة، والأعمش، وأبي إسحاق". [4]

وهذا الإمام علي بن المدني –المتوفى سنة (234 ه)_رحمه الله– يقول كلمته الشهيرة التي أصبحت المعوّل لكل من تكلّم في الرجال والعلل بعده، يقول –رحمه الله–:" نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة، فلأهل المدينة ابن شهاب وهو محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب، ويكنى أبا بكر مات سنة أربع وعشرين ومائة، ولأهل مكة" عمرو بن دينار مولى بني جمح، ويكنى أبا محمد مات سنة ست وعشرين ومئة.

ولأهل البصرة:

قتادة بن دعامة السدوسي وكنيته أبو الخطاب، مات سنة سبع عشرة، ومئة ويحي بن أبي كثير، ويكنى أبا نصر، مات سنة اثنتين وثلاثين ومئة باليمامة.

ولأهل الكوفة:

أبو إسحاق، واسمه عمرو بن عبد الله بن عبيد، ومات سنة تسع وعشرين ومئة.

---

(1)–الحديث المعلول قواعد وضوابط، حمزة عبد الله المليباوي، ص 55 .

(2)–انظر: الرجال الستة، إبراهيم بن علي، ص17.

(3)–الرسالة: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، ج1، ص453–457.

(4)–رواه الخطيب البغدادي في الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع،رقم1906.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وسليمان بن مهران مولى بني كاهل من بني أسد، ويكنى أبا محمد مات سنة ثمان وأربعين ومئة، كان حميلا.[1]

ثم صار علم هؤلاء إلى أصحاب الأصناف ممن صنف". [2]

ومعنى كلمة ابن المديني: أن هؤلاء الحفاظ جمعوا الأحاديث الثابتة، وأصبحوا مدارس يتلقى عنهم الطلاب، فغالب الروايات الصحيحة تكون من طريقهم.

قال الذهبي: "يعني أن غالب الأحاديث الصحاح لا تخرج عن هؤلاء الستة"[3].

وقد عدّ الإمام الحاكم في (معرفة علوم الحديث) معرفة الأئمة الثقات الذين تدور عليهم الأسانيد نوعا مستقلا من علوم الحديث.

قال:" ذكر النوع التاسع والأربعين من معرفة علوم الحديث:

هذا النوع من هذه العلوم معرفة الأئمة الثقات المشهورين من التابعين وأتباعهم ممن يجمع حديثهم للحفظ والمذاكرة والتبرك بهم وبذكرهم من الشرق إلى الغرب".ثم ذكر جلة من علماء الأمصار ممن هم على الصفة التي ذكرها[4].

وقال أبو بكر الخطيب في كتابه الجامع:" معرفة الشيوخ الذين تدور عليهم الأسانيد"، و ذكر كلمة أبي داود الطيالسي، وكلمة علي بن المديني"،ثم عقد ترجمة لــ: (ذكر الرجال الذين يعتنى بجمع حديثهم). [5]

أما الحافظ زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، المتوفى سنة (795ه) – رحمه الله– فقد ترجم في كتابه الجليل (شرح علل الترمذي) لطائفة من الحفاظ ، وبين –رحمه الله– مكان علم العلل من علم التصحيح والتضعيف فقال: "فاعلم أن معرفة صحة الحديث وسقمه تحصل من وجهين:

---

[1]–الحميل هو الذي يحمل من بلده صغيرا، و لم يولد في الإسلام، انظر: تعليق الشيخ أحمد شاكر على جامع الترمذي،

[2]–انظر: علل ابن المديني، ص44 .

[3]–تذكرة الحفاظ ، ج1، ص 23 .

[4]–معرفة علوم الحديث، ص285.

[5]–الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: الخطيب البغدادي، ج2، ص448،454،456،459.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أحدهما: معرفة رجاله وثقتهم وضعفهم.

والوجه الثاني: معرفة مراتب الثقات الذين تدور غالب الأحاديث الصحيحة عليهم، وبيان مراتبهم في الحفظ، وترجيح بعضهم على بعض عند الاختلاف".ثم ذكر طائفة من أعيان الثقات وأشهر أصحابهم.[1]

ومن الكتب المعاصرة التي تكلمت في هذا الشأن أي: بيان ومعرفة الرواة الذين تدور عليهم الأسانيد:

الكتب المؤلفة في المدارس الحديثية: مثل:

- مدرسة الحديث في البصرة حتى القرن الثالث الهجري للدكتور أمين القضاة طبع بدار ابن حزم عام 1419ه_1998م.
- المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للدكتور محمد الثاني عمر موسى، صدر عن مكتبة دار المنهاج سنة 1428هـ-2000م.

وكتب ألفت أصالة لبيان أشر الرواة الذين دارت عليهم الأسانيد، وقفت منها على كتابين:

- الرجال الستّة الذين تدور عليهم أسانيد الحديث، للدكتور إبراهيم بن علي آل كليب صدر عن مكتبة آل العبيكان 1422هـ_2001م.
- و طبقات المكثرين من رواية الحديث، للدكتور عبد الشكور بن عبد الله الزرقي، تقديم الدكتور عبد الله السعد، صدر عن دار طويق للنشر والتوزيع 1422هـ.
- ورسالة صغيرة الحجم للدكتور عبد الله السعد بعنوان: "المشهور" ذكر فيها أشهر الأسانيد التي تدور عليها أحاديث الكتب الستة.

وفي هذا دليل على أهمية هذا الباب من العلم -أي معرفة أشهر أسانيد الحديث- ومدى عناية العلماء به قديما وحديثا.

قال علي بن المديني بعد أن ذكر أشهر المدارس الحديثية:" ولقد صار علم هؤلاء إلى من

[1]-شرح علل الترمذي، مصدر سابق، ج2، ص467_551.

صنف"[1]

وعلى رأس المصنفين الإمامان البخاري ومسلم، فقد ضمنا كتابيهما أحاديث أشهر الأئمة، وإن المتصفح لأسانيدهما يلحظ هذا بوضوح وجلاء، فروايات أشهر أئمة الأمصار، وركائز المدارس الحديثية، شغلت حيزا كبيرا في الصحيحين، فجاءت أحاديثهما مروية بطرق كالشمس قوة، ووضوحا، وشهرة؛ إذ رواها من الصحابة إلى التابعين وأتباعهم ممن تزخر كتب التراجم والطبقات وتاريخ الرجال بمناقبهم وفضائلهم، تبوّأوا منازل عالية، وحازوا قصب السبق في ميدان العلم والعمل.

ففي طبقة الصحابة:أبو هريرة، وابن عمر،وأبوسعيد الخدري،وعائشة...

وفي طبقة التابعين: ابن شهاب الزهري، وعمرو بن دينار، وسليمان بن مهران الأعمش... وفي طبقة الأتباع: سفيلن ابن عينية، و سفيان الثوري، ومالك بن أنس...

فروايات هؤلاء الأئمة وأمثالهم ممن استفاضت عدالتهم العلمية والدينية كانت محل اهتمام الشيخين في صحيحيهما بدرجة كبيرة، وظهرت آثار مروياتهم (أي هؤلاء الأئمة) فيهما.

أثر مرويات أبي هريرة في الصحيحين:

"روى أبو هريرة رضي الله عنه كمّا كبيرا من الأحاديث النبوية الشريفة، وشغلت مروياته حيزا واسعا في "الصحيحين"، وهذا أمر طبعي، إذا كان أكثر الصحابة رواية وأحفظهم على الإطلاق، لما ناله من بركة دعاء النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

ذكر الحافظ الذهبي –رحمه الله– "في ترجمة أبي هريرة"أن أحاديثه المتفق عليها في الصحيحين بلغت ثلاث مئة وستة وعشرين حديثا، وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثا، ومسلم بثمانية وتسعين حديثا. [3]

وعلى هذا يكون مجموع ما عندهما من حديثه خمس مئة وسبعة عشر حديثا، ويكون عدد ما عند البخاري وحده أربع مئة وتسعة عشر (419) حديثا، وعند مسلم أربع مئة وأربعة

---

[1]–علل ابن المديني، ص44.

[2]–المدرسة الحديثية في مكة والمدينة، ج1، ص257.

[3]–سير أعلام النبلاء، ج2، ص632.

وعشرين (424) حديثا. أما الحافظ ابن حجر فيذكر أن عدد أحاديث أبي هريرة في "صحيح البخاري" بلغ أربع مئة وستة وأربعين حديثا[1].

وهذا التقارب في العدد يعطي الباحث طمأنينة بقرب ما توصلا إليه من الصواب من حيث الجملة، فإن الفارق بينهما فارق يسير لا يؤثر سلبا في أمثال هذه الإحصائيات التي عادة تتجاذب فيها الأنظار، وتختلف الآراء في عدّ حديثين حديثا واحدا، أو العكس.[2]

أثر مرويات ابن شهاب الزهري –رحمه الله– في الصحيحين:

لقد كان الإمام الزهري أحد أساطين الحديث الذين دارت عليهم الأسانيد، استفاض العلم بنبوغه وجمعه بين الرواية والحفظ، فكان أحد أشهر أعلام مدرسة الحديث بالمدينة.

قال ابن المديني:" نظرت فإذا الإسناد يدور على ستة: فلأهل المدينة: ابن شهاب ...".[3]

قال ابن سعد: "قالوا: كان الزهري –رحمه الله– ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعا"[4].

"حتى اعتبر –رحمه الله– في التابعين مثل أبي هريرة في الصحابة من حيث الإكثار والجمع[5]، قال عنه أبو مسعود الرازي:" ليس فيهم أجود مسندا من الزهري، كان عنده ألف حديث "[6].

و هذه المكانة العلمية التي تبوأها –رحمه الله– جعلته محل عناية طلاب الحديث الذين كانوا يزدحمون على بابه.

قال مالك –رحمه الله–:"..وقدم علينا محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب وهو شاب،

---

(1)–انظر: الجواهر والدرر،للسخاوي، ج2، ص675676..

(2)–المدرسة الحديثية في مكة والمدينة، ج1، ص258.

(3)–العلل، لابن المديني، ص36.

(4)–الطبقات الكبرى، القسم المتمم، ص186

(5)–انظر: المدرسة الحديثية، ج1، ص195.

(6)–تهذيب الكمال، ج26، ص431..

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

يزدحم على بابه".[1]

كما جعلت مروياته محل عناية المصنفين كالإمامين البخاري ومسلم اللذين حفل كتاباهما بأسانيد الزهري ومروياته وما صنيعها إلا علما منهما بمكانة الرجل ودرجة مروياته وهما الحريصان على انتقاء أصرح الروايات وأنقى المخارج لها.

فعن مثل هؤلاء الأئمة الأفذاذ الجامعين بين العلم والعمل، روى الشيخان أحاديث صحيحيهما في أسمى درجات الدقة والإتقان والوضوح والشهرة.فكيف يشكّك من لا علم له بعلم الحديث وبمناهج المحدثين،في أحاديثهما ويطعن فيها؟

قال ابن حزم –رحمه الله– عند ذكره صفة وجوه النقل الذي عند المسلمين لكتابهم ودينهم وما نقلوه عن أئمتهم:"الثالث: ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان، على أن أكثر ما جاء هذا المجيء، فإنه منقول نقل الكواف: إما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرف جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وإما إلى الصاحب، وإما إلى التابع، وإما إلى إمام أخذ عن التابع، يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين".[2]،يريد بنقل الكواف عن الصاحب، أو التابع أو الإمام الآخذ عن التابع؛ الشهرة عمن تدور عليهم الأسانيد.[3]

وإن الطعن في أحاديث الصحيحين هو طعن في الأمة كلها، لأنها تلقت دينها عن هؤلاء الأفذاذ...

يقول العلامة أحمد شاكر:"وأما الطعن في الأحاديث الصحيحة جملة والشك في نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإنما هو إعلان بالعداء للمسلمين ممن عهد إليه عن علم ومعرفة، أو جهل وقصر نظر ممن قلد فيه غيره و لم يعرف عواقبه وآثاره، فإن معنى هذا الشك أنه حكم على جميع الرواة الثقات من السلف الصالح –رضي الله عنهم– بأنهم كاذبون مخادعون،

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]–الكفاية، ج1، ص159.

[2]–الفصل في الملل والأهواء والنحل،ابن حزم،179.

[3]–معرفة مدار الإسناد: محمد مجبر الخطيب الحسني، ج2، هامش ص30.

ورمي لهم بالفرية والبهتان، أو بالجهل والغفلة، وقد أعاذهم الله من ذلك...". [1]

إن إيراد الشيخين لأحاديثهما من طرق أشهر الأئمة، أعلام المدارس الحديثية، وقبلة الطلبة، فيه ردّ واضح وقوي على من يشكك أو يطعن في صحة أحاديثهما، فهل يُعقل أن يرد الحديث من طريق إمام مدار في الرواية، ويكون ضعيفا أو منكرا أو حتى موضوعا؟ ثم ينقله عنه الطلبة جيلا بعد جيل حتى يصل إلى البخاري ومسلم، هذا والله هو الطعن في الأمة.وإن الكشف عن منهج الشيخين في الانتقاء يمكن أن يكون أكبر رادع في وجه المشككين والطاعنين،وهذا الجانب (أي معرفة أسانيد أشهر الأئمة) أحد أبواب الدفاع عن الصحيحين، وليس هذا فحسب بل نجدهما أيضا يخرجان الحديث من طريق أوثق أصحاب الشيخ وأعرفهم بحديثه وأكثرهم إتقانا وحفظا له، فيأتي إسناده في أسمى درجات الصحة، وهذا يقودني إلى الكلام عن اعتماد الشيخين في كتابيهما أصح الأسانيد وهو موضوع المطلب الموالي.

[1]-الباعث الحثيث، ص33.

المطلب الثالث: اعتماد الشيخين أصح الأسانيد

تتفاوت الأسانيد الصحيحة في مراتبها ودرجاتها، على حسب رواتها وقوة ضبطهم، وشهرتهم بالعلم، وغير ذلك فترى في الصحيح ماهو أرفع من غيره من الصحيح أيضا، وهذا ما أطلق عليه العلماء أصح الأسانيد[1] ومعنى أصح الأسانيد: أن رواة هذه الأسانيد في أعلى مراتب الرواة عدالة وضبطا.[2]

قال ابن حجر:"وتتفاوت رتبة الصحيح بسبب تفاوت هذه الأوصاف المقتضية للتصحيح في القوة، فإنها لما كانت مفيدة لغلبة الظن الذي عليه مدار الصحة اقتضت أن يكون لها درجات بعضها فوق بعض بحسب الأمور المقوية، وإذا كان كذلك فما يكون رواته في الدرجة العليا من العدالة والضبط وسائر الصفات التي توجب الترجيح كان أصح مما دونه" [3].

فمن المرتبة العليا في ذلك ما أطلق عليه بعض الأئمة أنه أصح الأسانيد وقد تكلم علماء الحديث في أصح الأسانيد وتعيينها، فاختلفت أقوالهم وتباينت، فمنهم من حكم على أسانيد بعينها بأنها: أصح الأسانيد مطلقا، ومنهم من قيدها بالبلد أو الصحابي.

قال ابن حجر: "وسبب الاختلاف في ذلك إنما هو من جهة أن كل من رجح إسنادا كانت أوصاف رجال ذلك عنده أقوى من غيره بحسب اطلاعه، فاختلفت أقوالهم لاختلاف اجتهاداتهم"[4].

فمن هذا يتبين أن الحكم على إسناد بأنه من أصح الأسانيد يرجع إلى درجة تمكن هذا الإسناد من الأوصاف المقتضية للصحة من عدالة الرواة وضبطهم، وإتقانهم لأحاديث بلدانهم أو شيوخهم.

وقد ذكر بعض من ألف في مصطلح الحديث عددا من الأسانيد التي حكم عليها علماء الحديث بأنها من أصح الأسانيد، إما مطلقا أو مقيّدة بالبلد أو الصحابي[5] ...

---

[1]-انظر: أصح الأسانيد، ج1، ص31.

[2]-المرجع نفسه، ج1، ص25.

[3]-نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر، ص71.

[4]-النكت على كتاب ابن الصلاح، ج1، ص248.

[5]-انظر: معرفة علوم الحديث، للحاكم، ص99، والكفاية، للخطيب، ص397 والنكت على مقدمة ابن الصلاح،

ولقد علم الشيخان مكانة هذه الأسانيد، وقيمتها العلمية، فحرصا على رواية نسبة كبيرة من أحاديثهما من طريقها هذه ، فجاءت رواياتهما في أرفع درجات الصحة وأعلاها.

أثر إسناد أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة في الصحيحين:

روى الحاكم في "معرفة علوم الحديث" بسنده إلى الإمام البخاري أنه قال:" أصح أسانيد أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة" [1].

وقد تقدم عناية الشيخين بأحاديث أبي هريرة، ويظهر ذلك بوضوح من خلال كثرة إخراج أحاديثه من طريق كبار أصحابه، كطريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة :"وهي ترجمة الجادة ، ومن أصح ما رويت به أحاديث أبي هريرة[2] فقد أسند البخاري لأبي هريرة رضي الله عنه من هذه الطريق في اثنين وخمسين ومئة موضع معتمدا في ذلك على ست طرق إليه، وأسند الإمام مسلم هذه الطريق في مئة وثمانية عشر موضعا معتمدا على تسع طرق إليه"[3].

أثر إسناد مالك عن نافع عن ابن عمر في الصحيحين:

أخرج أبو عبد الله الحاكم[4]، وأبو نعيم الأصبهاني[5]، وأبو بكر الخطيب[6]، وأبو بكر البيهقي[7]، عن الإمام البخاري، أنه قال:" أصح الأسانيد كلها: مالك عن نافع عن ابن عمر".

وهو إسناد يوصف بأنه "سلسلة الذهب".[8]

وصنف الحازمي جزءا فيما رواه أحمد عن الشافعي بهذا الإسناد وسماه (سلسلة الذهب)[9]

وأخرج الخطيب البغدادي عن عبيد بن رجال، قال:" سمعت ابن بكير يقول لأبي زرعة

للزركشي، ج1، ص129، والنكت على كتاب ابن الصلاح، لابن حجر، ج1، ص60.

(1)-معرفة علوم الحديث، ص84.

(2)-المدرسة الحديثية في مكة والمدينة، ج1، ص340.

(3)-المرجع نفسه، ج1، ص387.

(4)-معرفة علوم الحديث، ص87.

(5)-المسند المستخرج على صحيح مسلم، ج1، ص56.

(6)-الكفاية، ص398.

(7)-السنن الكبرى، ج10، ص283.

(8)-انظر: النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي، ج1، ص140.

(9)-انظر: المصدر نفسه، ص144.

الرازي: يا أبا زرعة: ليس ذا زعزعة عن زوبعة إنما ترفع الستر تنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه بين يديه: حدثنا مالك عن نافع عن ابن عمر"[1] وفيه تصوير لقوة الإسناد ومكانته وصحته وعلوه حتى كأنه مطلع إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

مما لاشك فيه أن إسنادا في قوة هذا ومتانتة وصحته وعلوِّه، لجدير بعناية صاحبي "الصحيحين"، فهما اللذان توجه جلّ اهتمامهما إلى إخراج الحديث من صحيح مخرجه، وانتقاء أعلى مسنده، فالناظر فيهما يجد أنهما قد اعتمدا هذا الإسناد بصفة بارزة في مواضع كثيرة من صحيحيهما، فوصله الإمام البخاري في أربعة وتسعين موضعا، من اثني عشرة طريقا، وأخرج منه الإمام مسلم ستة وسبعين إسنادا، معتمدا في ذلك على تسع طرق.[2]

وتظهر ثمرة عناية الشيخين بأصح الأسانيد في كون الأحاديث التي رويت بها في أعلى درجات الصحة وأرقاها، بالإضافة إلى كونها معروفة مشهورة بين أهل العلم، وفي هذا رد على من يشنع على أحاديث الصحيحين، إذ لا يعقل أن يروي الشيخان أو أحدهما حديثا بإسناد يوصف بأنه من أصح الأسانيد وأجودها وهو موضوع أو ضعيف، وتغفل جموع العلماء عن ذلك جيلا بعد جيل.

[1]-الكفاية، ص399، والجامع لأخلاق الراوي، ج2، ص123

[2]-المدرسة الحديثية، ج1، ص355.

المطلب الرابع:فائدة تكرار الحديث وتقطيعه

1-تكرار الحديث:

هو إعادة رواية متنه في موضع آخر أو أكثر في الكتاب، وقد اشتهر البخاري رحمه الله بتكرار الحديث، وكان له في ذلك مقاصد جليلة، وأساليب عجيبة وإشارات بديعة دالة على حكمته ورسوخه في علمي الفقه والحديث. [1]

ومن أبرز هذه المقاصد أن البخاري –رحمه الله- أراد بيان شهرة الحديث واستفاضته، وأنه كان معروفا، سواء تحقق ذلك في طبقة الصحابة أو من بعدهم، وما روايته له من عدة طرق، إلا لتحقيق هذا الغرض.

وقد كشف عن هذا المقصد المهم الحافظ ابن حجر في هدي الساري، نقلا عن أبي الفضل المقدسي في جزء له سماه "جواب المتعنّت" فقال: "اعلم أن البخاري –رحمه الله- كان يذكر الحديث في كتابه في مواضع، ويستدل به في كل باب بإسناد آخر، ويستخرج منه بحسن استنباطه وغزارة فقهه معنى يقتضيه الباب الذي أخرجه فيه، وقلّما يورد حديثا في موضعين بإسناد واحد ولفظ واحد وإنما يورده من طريق أخرى لمعان نذكرها والله أعلم بمراده منها:

-فمنها أنه يخرج الحديث عن صحابي ثم يورده عن صحابي آخر والمقصود منه أن يخرج الحديث عن **حدّ الغرابة**، وكذلك يفعل في أهل الطبقة الثانية والثالثة وهلم جرا إلى مشايخه فيعتقد من يرى ذلك من غير أهل الصنعة أنه تكرار وليس كذلك لاشتماله على فائدة زائدة.

ومنها أنه صحّح أحاديث على هذه القاعدة (وهي شهرة الحديث واستفاضته) ويشتمل كل حديث منها على معان متغايرة فيورده في كل باب من غير الطريق الأولى..."[2]ويذكر باقي أغراض البخاري من تكراره للحديث.

فرواية البخاري للحديث من طريق شيخ، ثم تكراره له في باب آخر، ومن طريق شيخ آخر يستفاد منه تكثير الطرق لذلك الحديث مما يجعله دليلا على شهرته واستفاضته.

والتكرار الذي في صحيح البخاري لا يعد تكرارا في مصطلح المحدثين "إذ الاختلاف في

---

[1]- انظر: لسان المحدثين، محمد خلف سلامة ص120.

[2]-هدي الساري ص15.

السند أو الراوي أو في لفظ الحديث يخرج الحديث من التكرار عندهم"[1].وقد أخبر البخاري أنه لا يُورد في صحيحه حديث مكررا، وقال في باب التعجيل إلى الموقف: "ولكني أريد أن أدخل فيه غير معاد"[2]. وذهب الحافظ ابن حجر إلى أن البخاري –رحمه الله– لا يتعمد إعادة حديث بإسناده ومتنه، وإن كان قد وقع له من ذلك شيء فهو عن غير مقصد ، فقال_رحمه الله_: " أنه لا يتعمد أن يخرج في كتابه حديثا معادا بجميع إسناده ومتنه، وإن كان قد وقع له من ذلك شيء[3] فعن غير قصد ، وهو قليل جدا"[4].

وقال:"ولا يوجد فيه حديث واحد مذكور بتمامه سندا ومتنا في موضعين أو أكثر إلا نادرا فقد عني بعض من لقيته بتتبع ذلك فحصل له منه نحو عشرين موضعا"[5]

2-تقطيع الحديث:

هو أن يروي المحدث المتن الواحد المشتمل على عدة أحكام لكن لا يرويه كاملا في موضع واحد بل يقطعه ويفرقه على الأبواب، وتكون كل قطعة منه بمثابة حديث مستقل، وقد يرويه في بعض المواضع تاما، [6] وربما نشط فساقه بتمامه[7].

حكمه: إن اشتمال المتن الواحد على عدّة أحكام لا يتعلق بعضها ببعض، جعل تفريقه على الأبواب جائزا، فيقتصر في كل باب على القطعة المتضمنة لمعناه،قال الخطيب:"قد تقدم القول منّا بإجازة تفريق المتن الواحد في موضعين إذا كان متضمنا لحكمين، وهكذا إذا كان المتن متضمنا لعبادات، وأحكام لا تعلق لبعضها ببعض، فإنه بمثابة الأحاديث المنفصل بعضها من بعض ويجوز تقطيعه، وكان غير واحد من الأئمة يفعله"[8] وكره من المتأخرين ابن الصلاح، ورد عليه

---

(1)- الإمام البخاري، تقي الدين الندوي، ص122.

(2)-ابن حجر، فتح الباري، ج3، ص515.

(3)-ذكر تقي الدين الندوي، في كتابه: الإمام البخاري، هامش الصفحة122، ان محمد بن يونس الجونفوري عدها مائة وثمانية أحاديث جمعها في رسالة سماها " إرشاد القاصد إلى ماتكرر في البخاري بإسناد واحد".

(4)-هدي الساري، ص16.

(5)-فتح الباري، ج1، ص16.

(6)- انظر: الكفاية، ص193، لسان المحدثين، ج3، ص360.

(7)-هدي الساري، مصدر سابق، ص15

(8)-انظر : الكفاية، ص193.

النووي فقال:" ما أظن غيره يوافقه عليه"[1].

فقد فعله كبار الأئمة كالبخاري، وأبي داود، والنسائي، وغيرهم[2].

لقد أكثر البخاري –رحمه الله- في صحيحه من تقطيع الأحاديث، لأغراض علمية جليلة من بينها تكثير طرقه، وبيان شهرته، واستفاضة العلم به،قال ابن حجر –رحمه الله- "وأما تقطيعه للحديث في الأبواب تارة واقتصاره منه على بعضه أخرى فذلك لأنه إن كان المتن قصيرا أو مرتبطا ببعضه البعض وقد اشتمل على حكمين فصاعدا فإنه يعيده بحسب ذلك مراعيا مع ذلك عدم إخلائه من فائدة حديثية وهي إيراده عن شيخ سوى الشيخ الذي أخرجه عنه قبل ذلك...فتستفيد بذلك تكثير الطرق لذلك الحديث".[3]

أما الإمام مسلم ـرحمه اللهـفقد أولى الصناعة الإسنادية في صحيحه جل اهتمامه،وجنح إلى عدم التكرار،فجمع طرق الحديث الواحد في موضع واحد، وبين أنه لا يكرر إلا لفائدة، فقال ـرحمه اللهـ:" فنقسمها على ثلاثة أقسام وثلاث طبقات من الناس على غير تكرار،إلا أن يأتي موضع لا يستغنى فيه عن ترداد حديث فيه زيادة معنى،لأن المعنى الزائد في الحديث المحتاج إليه يقوم مقام حديث تام فلا بد من إعادة الحديث الذي فيه ما وصفنا من الزيادة".[4]

كما أنه تجنب تقطيع الحديث،إلا إن دعت الحاجة إلى اختصاره، قال ـرحمه اللهـ:"أو أن يفصل ذلك المعنى من جملة الحديث على اختصاره إذا أمكن ولكن تفصيله ربما عسر من جملته فإعادته بهيئته إذا ضاق ذلك أسلم"[5].

---

[1]-فتح المغيث، ج2، ص225_226.

[2]-انظر: محاضرات في علم الرواية، بوبكر كافي، ص104.

[3]-هدي الساري، ص15.

[4]-مقدمة الصحيح، ص3.

[5]-المصدر نفسه، ص4.

المطلب الخامس:اعتماد الشيخين الشواهد والمتابعات:

لقد كان من منهج الشيخين في انتقاء أحاديث صحيحيهما العناية الواضحة والبارزة بسياق الشواهد والمتابعات،أما الشواهد: فجمع شاهد، والشاهد لغة : اسم فاعل من (شهد)، والشهادة خبر قاطع[1]، قال ابن فارس: الشهادة الإخبار بما قد شوهد. [2]

والشاهد اصطلاحا:" متن يروى عن صحابي آخر يشبه متن الحديث الفرد".[3]

وأما المتابعة:ففي اللغة: معاملة من (ت ب ع)، وهو أصل دال على التّلو والقفو. [4]

وفي الاصطلاح: "موافقة الراوي غيره في رواية حديث عن شيخه أو من فوقه دون الصحابي"[5].

وعناية الشيخين بالشواهد والمتابعات إنّما كانت لغرض علمي جليل، ألا وهو بيان قوة الحديث،وشهرته واستفاضته، إما بين الصحابة ــ رضي الله عنهم ، أو بين التابعين فأتباعهم.

مثاله:

حديث أبي هريرة في سجود السهو،" حديث ذي اليدين"[6] : رواه محمد بن سيرين، وأبو وأبو سلمة بن عبد الرحمن، وابن المسيب، وعبيد الله، وسعيد المقبري، والأعرج، وأبو سفيان، وغيرهم، كلهم عن أبي هريرة.

وتابع أباهريرة، عبد الله بن عمر، وعمران بن حصين، ومعاوية بن حديج.

---

[1]-انظر : القاموس المحيط (ش هــ د)، ص372.

[2]-المصباح المنير، ص 324.

[3]-انظر: معجم مقاييس اللغة:، ج، ص362.

[4]-انظر: علوم الحديث لابن الصلاح ص 48، وفتح المغيث ، ج1، ص209_210.

[5]-انظر: نزهة النظر، ص87 .

[6]-أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصلاة، باب هل يأخذ الإمام إذا شك بقول الناس، ح714، وباب إذا سلم في ركعتين أو في ثلاث فسجد سجدتين مثل سجود الصلاة أو أطول، ح1227، وباب من لم يتشهد في سجدتي السهو، ح1228، وباب من يكبر في سجدتي السهو، ح1229، وباب ما يجوز من ذكر الناس نحو قولهم الطويل والقصير، ح6051، باب ما جاء في إجاز خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام، ح7250. وأخرجه مسلم في الصحيح (بشرح النووي)، في كتاب الصلاة، باب السهو في الصلاة والسجود له، ح573.

المطلب السادس: استفادة البخاري ومسلم من علماء عصرهما:

إن الصحيحين لم يأتيا من فراغ، وإنما هما حلقة من سلسلة ممتدة من لدن العهد الأول لتدوين الحديث إلى عصر الإمامين البخاري ومسلم-رحمهما الله- هذه الحلقة جاءت مكملة لتلك الحلقات ومتممة لها، وإن استفادة الشيخين من جهود الأئمة الذين سبقوهما كانت عظيمة سواء من حيث المادة، أم من حيث المنهجية[1]، ظهرت هذه الاستفادة من خلال التصنيف على منوال من سبق، والتتلمذ على يد كبار أئمة الحديث، والرواية عنهم.

فالبخاري لما صنف جامعه الصحيح، جمع فيه الفنون التي صنف فيها من سبقه، كل فن على حدة،قال الإمام الدهلوي: "أول ما صنف أهل الحديث في علم الحديث، جعلوه مدونا في أربعة فنون، في السنة أعني الذي يقال له الفقه مثل موطأ مالك، وجامع سفيان، وفن التفسير مثل كتاب ابن جريح، وفن السير مثل كتاب محمد بن إسحاق، وفن الزهد والرقاق مثل كتاب ابن مبارك، فأراد البخاري-رحمه الله- أن يجمع الفنون الأربعة في كتاب ويجرده لما حكم له العلماء بالصحة قبل البخاري، وفي زمانه، ويجرده للحديث المرفوع المسند، وما فيه من الآثار وغيرها إنما جاء تبعا لا أصالة ولهذا سمي كتابه الجامع الصحيح المسند"[2][3].

فالتأليف في السنة قبل الإمام البخاري كان يتجه إلى أحد هذه الفنون الأربعة:كتب السنن، وكتب التفسير، وكتب المغازي والسير، وكتب الرقاق، إلى أن جاء الإمام البخاري وجمعها كلها في صحيحه، وفي هذا دلالة على مدى استفادته ممن سبقه، وأن أحاديث جامعه، لا غرابة أن تكون مروية في الكتب المصنفة قبله، أو على الأقل تلتقي معها في بعض الأسانيد، فالإمام البخاري تتلمذ على يد كثير من أئمة الحديث الذين صنفوا في أحد هذه الفنون على انفراد، كما أنه أخذ كثيرا من مادة صحيحه من كتبهم، أذكر منهم:

الإمام الدارمي (ت255هـــ) صاحب "السنن"، وقد روى عنه في غير الجامع، وهو من شيوخ البخاري.

الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت 211هـــ) صاحب "المصنف"، والذي يعتبر من

---

[1]-منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، ص21.

[2]-شرح تراجم البخاري، ص7 نقلا عن: رفعت فوزي عبد المطلب: كتب السنة دراسة توثيقية، ص78.

[3]-انظر: أبو بكر كافي: منهج البخاري، ص21.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أغنى المصادر بآثار السلف وفقه التابعين، أخذ عنه البخاري الكثير من الآثار التي يوردها، كما يعلم من خلال "فتح الباري" و"تغليف التعليق" في وصل تلك الآثار.

.كما أنه استفاد كثيرا من الآثار من "مصنف"أبي بكر بن أبي شيبة (ت235هـــ).

نقل في كتاب المغازي من جامعه عن: مغازي موسى بن عقبة بن أبي عياش المدني (ت141هـــ)[1] وعن كتاب"السيرة النبوية" لمحمد بن إسحاق بن يسار المطلبي (ت151هـــ).[2][3].

ولما فرغ من تأليف صحيحه عرضه على كبار الأئمة، قال أبو جعفر العقيلي-رحمه الله-:" ولما صنف البخاري كتابه الصحيح عرضه على: علي بن المدني، وأحمد بن حنبل، ويحي بن معين، وغيرهم، فاستحسنوه، وشهدوا له بالصحة إلا أربعة أحاديث، قال العقيلي: والقول فيها قول البخاري وهي صحيحة"[4]. فعرضه كتابه على كبار الحفاظ العارفين بالعلل والروايات وإقرارهم له بصحة ما فيه، دليل على موافقتهم له على الأحاديث التي أوردها، وعلى علمهم ومعرفتهم بها.

وما فعله البخاري-رحمه الله-هو المنهج الذي عليه أئمة السنة، سلكوه بغرض حفظ السنة وتنقيتها، فقد روى الخطيب البغدادي بسنده عن الوليد بن مسلم قال: " سمعت الأوزاعي يقول: كنا نسمع الحديث ونعرضه على أصحابنا كما نعرض الدرهم الزائف فما عرفوا منه أخذناه، وما أنكروا منه تركناه".[5]

وأسند الحاكم عن الأعمش قال:" كان إبراهيم صيرفي الحديث، فكنت إذا سمعت الحديث من بعض أصحابنا أتيته فعرضته عليه"[6].

---

(1)-من المواضع التي نقل عنها في الجامع الصحيح (مع الفتح)، كتاب المغازي: باب غزوة الخندق: ج7، ص453 .

-باب غزوة بني المصطلق، المصدر نفسه، ص494.

-باب غزوة الطائف، المصدر نفسه،ص639.

(2)-من المواضع التي نقل عنها في الجامع الصحيح(مع الفتح)، في كتاب المغازي: باب غزوة العشيرة، ج7، ص326 وباب حديث بني النضير ص382، وباب غزوة الرجيع ورعل وذكوان ص427، وغزوة ذات الدقاع ص481، وباب غزوة المصطلق ص49، كلها في ج7.

(3)-انظر: منهج الإمام البخاري، ص23، ص25، ص29، ص30.

(4)-هدى الساري، ص684.

(5)- الكفاية في علم الرواية، ص431.

(6)-معرفة علوم الحديث، ص52.

فأئمة السنة كانوا إذا سمعوا الحديث، بحثوا له عن موافق من أئمة النقد، عارف له غير منكر، فما كان كذلك قبلوه، وما كان به علة تركوه.

وقد سار الإمام مسلم-رحمه الله-على منهج شيخه البخاري في انتقاء أحاديث صحيحه، قال-رحمه الله- في صحيحه في كتاب الصلاة:" ليس كل شيء عندي صحيح وضعته هنا-يعني في كتابه الصحيح- إنما وضعت هنا ما أجمعوا عليه"[1]

والظاهر أن مراده-رحمه الله-أنه تجنب الغرائب والمفاريد، واقتصر على إيراد الأحاديث الصحيحة المعروفة والمشهورة والمتداولة بين أهل العلم، بدليل أنه لما فرغ من تأليفه عرضه على علماء عصره ممن بلغوا الإمامة في معرفة الصحيح من السقيم، قال مكي بن عبدان: " سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته، وكل ما قال إنه صحيح وليس له علة خرجته"[2].

وقد بين البلقيني-رحمه الله-أن المراد بقول مسلم-رحمه الله-:" أجمعوا عليه أربعة حفاظ وهم: الإمام أحمد بن حنبل، والإمام يحي بن معين، والإمام عثمان بن أبي شيبة، والإمام سعيد بن منصور الخراساني". [3]

قال الدهلوي:" ولكن الشيخين لا يذكران إلا حديثا قد تناظر فيه مشايخهما وأجمعوا على القول به والتصحيح له، كما أشار مسلم حيث قال: لم أذكر هنا إلا ما أجمعوا عليه"[4]

إن استفادة الشيخين من العلماء الذين سبقوهما والعلماء الذين عاصروهما، كان له الأثر الطيب على الأحاديث التي أورداها في صحيحيهما، حيث جاءت في أعلى درجات الصحة وأعلى درجات الشهرة.

فإن كتب الحديث" باعتبار الصحة والشهرة على أربع طبقات:

---

[1]-صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب التشهد، ج1،ص 304، رقم63.

[2]-صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، ص67.

-شرح النووي على صحيح مسلم، ج1،ص31.

- هدي الساري، ص506.

[3]-تدريب الراوي، ج1، ص98،محاسن الإصطلاح،91.

[4]-حجة الله البالغة ، ج1، ص283.

وذلك لأن أعلى أقسام الحديث ما ثبت بالتواتر، وأجمعت الأمة على قبوله، والعمل به.

ثم ما استفاض من طرق متعددة لا يبقى معها شبهة يعتد بها، واتفق على العمل به جمهور فقهاء الأمصار، أو لم يختلف فيه علماء الحرمين خاصة....

أو كان قولا مشهورا معمولا به في قطر عظيم، مرويا عن جماعة عظيمة من الصحابة والتابعين.

ثم ما صح أو حسن وشهد به علماء الحديث.

فالصحة: أن يشترط مؤلف الكتاب على نفسه إيراد ما صح أو حسن.

والشهرة: أن تكون الأحاديث المذكورة فيه دائرة على ألسنة المحدثين قبل تدوينها وبعد تدوينها.

فيكون أئمة الحديث قبل المؤلف رووها بطرق شتى وأوردوها في مسانيدهم ومجاميعهم، وبعد المؤلف اشتغلوا برواية الكتاب، وحفظه...

ويكون نقاد الحديث قبل المصنف وبعده وافقوه في القول بها، وحكموا بصحتها وارتضوا رأي المصنف فيها، وتلقوا كتابه بالمدح والثناء، ويكون أئمة الفقه لا يزالون يستنبطون عنها، ويعتمدون عليها، ويعتنون بها.

ويكون العامة لا يخلون عن اعتقادها وتعظيمها.

وبالجملة، فإذا اجتمعت هاتان الخصلتان "الصحة والشهرة" كملا في كتاب، كان من الطبقة الأولى...والطبقة الأولى منحصرة بالاستقراء في ثلاثة كتب: الموطأ، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم..." [1].

---

[1]-حجة الله البالغة، مصدر سابق ج1، ص280-283.

المطلب السابع: كثرة المستخرجات على الصحيحين:

نال الصحيحان عناية فائقة، واهتماما بالغا من طرف العلماء في عصر الشيخين وبعدهما، ومن مظاهر هذه العناية وهذا الاهتمام، كثرة المصنفات في الاستخراج عليهما.

والاستخراج:" هو أن يعمد حافظ إلى كتاب فيورد أحاديثه حديثا حديثا بأسانيد لنفسه، من غير طريق صاحب الكتاب، إلى أن يلتقي معه في شيخه، أو فيمن فوقه، وهكذا ولو في الصحابي". [1]

ويشترط في المستخرج ألا يصل إلى شيخ أبعد مع وجود سند يوصله إلى الأقرب، إلا لغرض: من علو، أو زيادة حكم، أو نحوه وإلا فلا يسمى مستخرجا. [2]

والمستخرج لا يلتزم موافقة ألفاظ الأحاديث بعينها لكونه يروي تلك الأحاديث من غير طريق المصنف، فيحصل بعض التفاوت في تلك الألفاظ، ولهذا لا يصح عزو متون المستخرج إلى الكتاب المستخرج عليه إلا إذا عرف اتفاقهما في اللفظ. [3]

ونظرا لمكانة الصحيحين عند علماء الأمة، فقد كان لهما الحظ الوافر في الاستخراج عليهما، فبين مستخرج على صحيح البخاري، ومستخرج على صحيح مسلم، ومستخرج عليهما كل على حدة ، ومستخرج عليهما معا،وموضوع هذه المستخرجات أن يروي أصحابها أحاديث الصحيحين أو أحدهما، بأسانيد خاصة بهم، قصد علوها، دون أن تمر بالبخاري ولا بمسلم، لكن بشرط أن تلتقي أسانيدهم بأسانيدهما في مخرج الحديث، أو في أقرب شيوخهما، أو في شيوخهما أنفسهم، وإلا لا يعتبر مستخرجا لحديث الشيخين، بل تكون روايتهم مستقلة، لا صلة لها بأحاديثهما، وقد ترد في الأحاديث المستخرجة زيادات لكونها مروية عن غير الإمام البخاري والإمام مسلم. [4][5]

---

(1)-انظر: فتح المغيث، ج1،ص99.

(2)-انظر: نزهة النظر، ص،96.

(3)-انظر:علوم الحديث، ص14.

(4)-علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، حمزة عبد الله المليباري، ص107.

(5)-والاستخراج أسلوب جميع المحدثين في عصر الرواية، وليس محصورا بين الصحيحين والكتب المستخرجة عليهما، بل هو ظاهرة علمية قامت عليها نهضة الرواية في ذلك العصر، وما من حافظ إلا وقد استخرج ما حدث به سابقه، يلتقي معه في أقرب شيوخه أو مصدر الحديث لعلوّ الإسناد، واستقلال بالمصدرية، بدل أن يكون تابعا لسابقه.

وهذه بعض المستخرجات على الصحيحين: [1]

أولا: على صحيح البخاري:

- المستخرج للحافظ أبي بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل "الإسماعيلي الجرجاني".
- مستخرج الحافظ أبي أحمد محمد بن أبي حامد بن الحسين بن القاسم بن السري بن الغطريف "الغطريفي".

ثانيا: على صحيح مسلم:

- مستخرج الحافظ "أبي عوانة": يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم بن يزيد الإسفراييني.
- مستخرج الحافظ أبي جعفر: أحمد بن أحمد بن حمدان بن علي بن عبد الله بن سنان "الحيري".

ثالثا: على الصحيحين في كتابين منفصلين:

- مستخرج الحافظ الكبير "أبي نعيم": أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني.
- مستخرج الحافظ "أبي عبد الله": محمد بن يعقوب بن يوسف الشيباني، النيسابوري، المعروف "بابن الأخرم".
- مستخرج الحافظ أبي بكر: أحمد بن عبدان بن محمد بن الفرج الشيرازي في كتاب واحد.

فوائد المستخرجات:

لقد ذكر العلماء للمستخرجات على الصحيحين فوائد كثيرة وجليلة، مثل تحقيق العلو، وتقوية الحديث بكثرة الطرق و بيان المهمل.

قال ابن الصلاح:"ثم إن التخاريج المذكورة على الكتابين يستفاد منها فائدتان: إحداهما:

-انظر: علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد، مرجع نفسه، هامش ص108.

[1]-انظر: مكانة الصحيحين، ص174-178.

علوم الإسناد.

والثانية: الزيادة في قدر الصحيح، لما يقع فيها من ألفاظ زائدة وتتمات في بعض الأحاديث، يثبت صحتها بهذه التخاريج، لأنها واردة بالأسانيد الثابتة في الصحيحين أو أحدهما، وخارجة من ذلك المخرج الثابت". [1]

وقال –رحمه الله– فيما نقله عنه الإمام النووي:

"ويستفاد من مخرجاتهم ثلاث فوائد:

1-علو الاسناد.

2-وزيادة قوة الحديث بكثرة طرقه.

3-وزيادة ألفاظ صحيحة مفيدة..."

فهذه ثلاث فوائد و للمستخرجات فوائد أخرى وقد أوصلها الحافظ ابن حجر إلى عشرة، كما نقله عنه السيوطي والصنعاني. [2]

وقال الإمام السخاوي –رحمه الله– أنه أوصلها في "النكت" إلى عشرين فائدة[3].

والشاهد من جميع الفوائد التي ذكروها _على أهميتها وعظمها_: تقوية الحديث بكثرة الطرق وبيان شهرته واستفاضته، فلو كان الحديث غريبا غير معروف ولا مشهور، لما عثر له المستخرج على طرق غير طريق صاحب الأصل(البخاري ومسلم)، لكنه لما كان معروفا ذائعا بين أهل العلم بالحديث،وكل منهم يرويه بإسناده، صار من السهل على المستخرج أن يجد له عدة أسانيد غير إسناد صاحب الأصل.

فالمستخرج يضم شخصا آخر، فأكثر مع الذي حدث مصنف الصحيح عنه، وربما ساق له طرقا أخرى إلى الصحابي بعد فراغه من استخراجه، كما يصنع أبو عوانة –رحمه الله– فإنه بعد أن يسوق سند الحديث المستخرج يسوق أسانيد أخرى غير سند مسلم، ولاشك أن هذا يعطي الحديث قوة وشهرة بكثرة تلك الطرق، إذ لابد أن يكون للحديث سند واحد يكون له عدة

(1)-علوم الحديث، ص14.

(2)-توضيح الأفكار، ج1، ص72-73 ، تدريب الراوي ج1، ص115_116.

(3)- فتح المغيث، ج1، ص40.

طرق.[1]

وكل علة أعل بها حديث في أحد الصحيحين، جاءت رواية المستخرج سالمة منها، فهي من فوائده، وذلك كثير جدا[2].

قال الجوزقي: "إنه استخرج على أحاديث الصحيحين، فكانت عدته :خمسة وعشرين ألف طريق، وأربعمائة وثمانين طريقا"[3].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

(1)-انظر: مكانة الصحيحين، ص171 -بتصرف-.

(2)-السيوطي: تدريب الراوي، ج1، ص116.

(3)-فتح المغيث، ص32.

المطلب الثامن: عناية الشيخين بالأحاديث التي جرى بها العمل

ضمن الشيخان كتابيهما نسبة كبيرة جدا من الأحاديث الفقهية المشهورة والمستفيضة بين أهل العلم طبقة عن طبقة، فأما الإمام مسلم-رحمه الله-فمنهجه سوق ما لديه من أحاديث الباب مع بعضها ليؤكد بها على استفاضة الحكم الذي يقصده،وشهرته بين أهل العلم من المحدثين والفقهاء. مثاله: في كتاب الجمعة.

باب صلاة الجمعة حين تزول الشمس.

قال مسلم-رحمه الله-:

(858) وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم قال أبو بكر حدثنا يحي بن آدم حدثنا حسن بن عياش عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: "كنا نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم نرجع فنريح نواضحنا، قال حسن: فقلت لجعفر: في أي ساعة تلك؟ قال: زوال الشمس".

(858) وحدثنا القاسم بن زكرياء حدثنا خالد بن مخلد ح وحدثني عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي حدثنا يحي بن حسان قالا جميعا حدثنا سليمان بن بلال عن جعفر عن أبيه أنه سأل جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-"متى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الجمعة؟ قال كان يصلي ثم نذهب إلى جمالنا فنريحها زاد عبد الله في حديثه حين تزول الشمس-يعني النواضح".

(859) وحدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب ويحي وعلي بن حجر (قال يحي أخبرنا وقال الآخران حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم) عن أبيه عن سهل قال:" ما كنا نقيل ولا نتغذى إلا بعد الجمعة (زاد ابن حجر) في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(860) وحدثنا يحي بن يحي وإسحاق بن إبراهيم قالا: أخبرنا وكيع عن يعلى بن الحارث المحاربي عن إياس بن سلمة الأكوع عن أبيه قال:" كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زالت الشمس ثم نرجع نتتبع الفيء".

فالإمام مسلم-رحمه الله-حين أراد أن يبين وقت أداء الجمعة، جمع أحاديث الباب المفيدة والمبينة له، والتي تدل على أنه كان معلوما لدى الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم.

أما الإمام البخاري-رحمه الله-فقد برز هذا المعلم بشكل واضح جدا في صحيحه، الذي كانت الصناعة الفقهية من أبرز مقاصده، حيث اشتمل على (98) كتابا و(3450) بابا مركبة على المسائل الفقهية والعقدية وغيرها[1].

قال الإمام النووي-رحمه الله- :" اعلم أن البخاري-رحمه الله تعالى-كانت له الغاية المرضية من التمكن في أنواع العلوم ودقائق الحديث واستنباط اللطائف منه، فلا يكاد أحد يقاربه فيها.....وإذا نظرت في كتابه جزمت بذلك بلا شك، ثم ليس مقصوده بهذا الكتاب الاقتصار على الحديث، وتكثير المتون، بل مراده: الاستنباط منها، والاستدلال لأبواب أرادها، من الأصول والفروع، والزهد والآداب، والأمثال وغيرها من الفنون"[2].

قال الشيخ عبد الغني عبد الخالق: " إن فقه البخاري واجتهاده يظهر بجلاء في تراجم صحيحه، فمن تتبع وقرأ بإمعان تراجمه، لا يسعه إلا أن يعترف بثاقب نظرته، ونفاذ بصيرته، وقوة حجته، وتمام خبرته، وأنه قادر على استخراج الأحكام الدقيقة،و استنباط المسائل العويصة_من الكتاب والسنة، وأن مرتبته في فقهه ليست دون مرتبته في حفظه"[3].

فكانت تلك التراجم التي عنون بها لأبواب الصحيح هي مظهر اهتمام البخاري بالفقه، حتى قال جمع من الأئمة:" فقه البخاري في تراجمه"[4].

وقال ابن حجر-رحمه الله:"تقرر أنه التزم فيه الصحة وأنه لا يورد فيه إلا حديثا صحيحا، هذا أصل موضوعه، وهو مستفاد من تسميته إياه (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه) ومما نقلناه عنه من رواية الأئمة عنه صريحا، ثم رأى أن لا يخليه من الفوائد الفقهية والنكت الحكمية فاستخرج بفهمه من المتون معاني كثيرة فرقها في أبواب الكتاب بحسب تناسبها، واعتنى فيه بآيات الأحكام فانتزع منه الدلالات البديعة وسلك فيه الإشارة إلى تفسيرها السبل الوسيعة"[5]

---

[1]-انظر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح، ص58.

[2]- ما تمس إليه حاجة القاري، ص51.

[3]- الإمام البخاري وصحيحه، ص139-140.

[4]- فتح الباري، ج1، ص243.

[5]- هدي الساري، ص8.

وإضافة إلى الحديث حفل كتابه بالآيات القرآنية، تأكيدا منه-رحمه الله- على تظاهرهما(أي القرآن و الحديث) في إثبات الأحكام[1].

قال المباركفوري:" وهو في استنباطه للمسائل يتبع أسلوبا حسنا جدا، وهو أنه أول ما يستدل، يستدل بالآيات القرآنية ويراعي قبل كل شيء التطبيق والتوفيق بين الآية والحديث، وفي طيه تفسير الآية بالحديث أو الحديث بالآية، وله أسلوب لطيف ودقيق في الاستدلال، حتى إن كثيرا من غير العارفين يقعون في حيرة، ويجعلونه هدفا لطعنهم واعتراضهم.

ولما كانت المسائل الفقهية واستنباطها من أهم أغراضه، اكتفى في كثير من الأبواب بالإشارة إلى الحديث....وأحيانا يذكر الآيات القرآنية فقط، وكل هذه الأساليب تدل على أن استنباط المسائل الفقهية من أهم أهداف صحيح البخاري وأغراضه الأساسية"[2].

كما أنه يورد في بيان الحكم الواحد أحيانا عدة أحاديث تدل عليه، وهذا الأمر واضح في إيراده لجملة من الأحاديث في الباب الواحد، وأيضا اعتنى بذكر آثار الصحابة والتابعين مما يوضح جريان العمل بالحكم المعقود له الباب واستفاضته بينهم.

مثاله: قال البخاري:" باب اغتسال الصائم، وبل ابن عمر-رضي الله عنهما- ثوبا، فألقاه عليه وهو صائم، ودخل الشعبي الحمام وهو صائم، وقال ابن عباس: لا بأس أن يتطعم القدر أو الشيء، وقال الحسن: لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم، وقال ابن مسعود: إذا كان صوم أحدكم، فليصبح دهينا مترجلا، وقال أنس: إن لي أَبزُن أتقحم فيه[3] وأنا صائم، ويذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استاك وهو صائم، وقال ابن عمر: يستاك أول النهار وآخره، ولا يبلع ريقه، وقال عطاء: إن ازدرد ريقه لا أقول يفطر، وقال ابن سيرين: لا بأس بالسواك الرطب، قيل: له طعم؟ قال: والماء له طعم، وأنت تمضمض به، ولم ير أنس والحسن وإبراهيم بالكحل للصائم بأسا"[4].

فاستشهد البخاري في هذه الترجمة بأقوال وأفعال عدد من الصحابة: ابن عمر، وابن عباس،

---

(1)-الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، ص.

(2)-سيرة الإمام البخاري، المباركفوري عبد السلام، ص189.

(3)-الأبزن: حجر منقور شبه الحوض، وأقحم فيه: أي أدخل، انظر: فتح الباري، ج4، ص154.

(4)-كتاب الصوم ، باب 25 اغتسال الصائم، قبل الحديث1830، ج2، ص681.

وابن مسعود، وأنس-رضي الله عنهم- كما استشهد بأقوال وأفعال عدد من التابعين: الشعبي، والحسن، وابن سيرين، كل ذلك ليؤكد ويؤيد ما ورد من اغتسال النبي صلى الله عليه وسلم وهو صائم[1].

كما أنه عني بذكر أقوال المذاهب الفقهية كالإمام مالك، والشافعي، وابن راهوية....

مثاله: قال البخاري:" باب في الركاز الخمس، وقال مالك وابن إدريس: الركاز دفن الجاهلية[2]، وفي قليله وكثيره الخمس، وليس المعدن بركاز"[3]

إضافة إلى تعليقاته وتراجمه للأبواب، مما يؤكد شهرة واستفاضة الأحاديث التي أوردها في صحيحه، فالحديث يشهد له القرآن وأحاديث أخرى، وعمل الصحابة والتابعين وفتاواهم، وفتاوى أئمة المذاهب والعلماء طبقة عن طبقة.

وقد بين المباركفوري المصادر المعتمدة عند البخاري وترتيبها في بيان الأحكام بقوله:"ومن عاداته في استنباط المسائل الفقهية، بل في الصحيح كله؛ أنه يذكر أولا: آيات القرآن الكريم، ثم الحديث المرفوع أو آثار الصحابة، أو فتاوى علماء التابعين، وهذه الأمور لابد منها للمجتهد"[4].

[1]-كحديث عائشة رضي الله عنها-في هذا الباب 1830 قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر في رمضان من غير حلم فيغتسل ويصوم والحديثين بعده (1831-1832) بمعناه.

[2]-قال مالك في الموطإ في باب زكاة الركاز بعد حديث 585:" الأمر الذي لا اختلاف فيه عندنا والذي سمعت أهل العلم يقولونه: أن الركاز إنما هو دفن يوجد من دفن الجاهلية ما لم يطلب بمال، ولم يتكلف فيه نفقة، ولا كبير عمل، ولا مؤونة...وأما قوله بوجوب الخمس في أقل من النصاب، فانظره في: المدونة الكبرى،ج 2، ص 290. فأما ما طلب بمال وتكلف فيه كبير عمل، فأصيب مرة وأخطئ مرة، فليس بركاز. موطأ الإمام مالك، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج2، ص290. كتاب الزكاة 24، باب 66، قبل حديث 1499.

[3]-الصحيح، باب في الركاز الخمس، قبل الحديث 1499، ج2، ص129.

[4]-سيرة الإمام البخاري، ص419.

خلاصة الفصل:

تبين من خلال هذا الفصل أن الحديث المشهور هو الحديث الذي خرج عن حد الغرابة، وأنّ مفهومه عند المحدثين أوسع بكثير منه عند الأصوليين، ومن نحا نحوهم ممن تكلم في مصطلح الحديث، وأن عناية المحدثين بالأحاديث المشتهرة كانت كبيرة جدا، ومن مظاهر هذه العناية:ذمهم رواية الغرائب والاشتغال بها، والحض على الاشتغال بالمشاهير من الروايات.

وبما أن الصحيحين يمثلان ذروة الصناعة الحديثية، وبما أنهما أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى، فقد برزت عناية الشيخين بالأحاديث المشتهرة بشكل واضح جدا، وهذه الشهرة تمثلت في عدة معالم تضافرت كلها لتثبت صحة وقوة أحاديث الصحيحين، فمثلا تركيز الشيخين على إخراج أحاديثهما من طريق أشهر أئمة الأمصار الذين يعتبرون مخارج ومدارات لتلك الروايات، وعنهم تأخذ الجموع من الطلبة فيه دليل قوي على كون هذه الأحاديث في أسمى درجات الشهرة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني:

أثر الشهرة في ردّ شبهات المعاصرين حول السنة النبوية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مدخل:

يتناول هذا الفصل بالدراسة بيان أهمية شهرة الحديث، في كونها أحد الوسائل التي يمكن من خلالها تفنيد شبهات خصوم الصحيحين، وطعونهم في أحاديثهما، وقد اشتمل على مبحثين:

أما المبحث الأول، فقد تكلمت فيه عن المنطلقات العقدية والفكرية التي تحكم خصوم الصحيحين وتدفعهم للطعن فيهما، وكذلك تكلمت عن سبب تركيزهم على الصحيحين دون باقي دواوين السنة، وما نجم عن طعونهم من آثار سلبية على السنة بصفة عامة وعلى الصحيحين بصفة خاصة.

أما المبحث الثاني، فقد عرضت فيه شبهة خصوم الصحيحين_المتعلقة بموضوع دراستي_ ومفادها عدم شهرة أحاديث الصحيحين، ثم تطرقت لدراسة نماذج من أحاديث منتقدة فيهما، وإن لم يدع خصوم الصحيحين عدم شهرتها ،إنما طعنوا فيها بدعوى أنها موضوعة، أو ضعيفة، أو غير ذلك من الدعاوى، وبينت كيف يمكن أن نرد الشبهات المثارة حولها من خلال إبراز شهرة هذه الأحاديث،واستفاضتها بين أهل العلم بالحديث.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: المنطلقات العقدية و الفكرية لخصوم الصحيحين

إن السهام التي توجه نحو السنة النبوية منذ القديم حتى العصر الحاضر، إنما تعكس توجهات أصحابها وخلفياتهم العقدية والفكرية، وفي هذا المبحث محاولة لبيان بعض هذه الخلفيات، وأسباب تركيز خصوم السنة على الصحيحين بالطعن، والآثار الناجمة عن طعونهم وشبهاتهم.

المطلب الأول: المنطلقات العقدية لخصوم الصحيحين

إن العقيدة هي الأساس الذي يبني عليه الإنسان منهجه في الحياة، ولعلّ أهم المنطلقات العقدية التي تدفع خصوم الصحيحين للطعن فيهما هي:

1-الحقد على الإسلام وأهله:

لقد كان لدفائن الحقد على الإسلام وأهله في قلوب اليهود والنصارى والمجوس، الأثر البالغ في محاربة الإسلام، من خلال إثارة الشبه والشكوك حول السنة النبوية، ولم يهدأ لهم بال ولم يقرر لهم قرار منذ رأوا ذلك الانتشار السريع للإسلام[1].

ولما كانت المجابهة المكشوفة لهذا الدين، وكتابه الكريم غير ممكنة لجأ هؤلاء الأعداء إلى حيلة التظاهر بالإسلام وإبطان خلافه، ثم أخذوا يثيرون الشبهات ويثبتون الشكوك بين المسلمين، فوجهوا رماح شكوكهم وسهام شبهاتهم إلى السنة المطهرة ورواتها[2].

واستمرت هذه الحملة الشعواء إلى العصر الحاضر، من خلال الدراسات الاستراتجية المسيحية واليهودية التي زرعت الضغينة على الإسلام والمسلمين، وأثرت في عقول الغربيين حتى أصبح احتقار الإسلام ونبيه وأتباعه جزءا أساسيا من التفكير الأوروبي، يؤكد هذا غير واحد من الباحثين، منهم مستشرقون؛ فهذا ليوبولد فايس (محمد أسد) [3] يبين ذلك بقوله: " والواقع أن المستشرقين

---

[1]-انظر: -السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، ص284-285.
-دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، محمد بن محمد أبو شهبة، ص286.

[2]- انظر:تدوين السنة، الزهراني 152.

[3]-ليوبولد فايس (1900-1992م): مستشرق من أصل نمساوي، أسلم وتسمى بـــ"محمد أسد"، وكتب دراسات وافرة أغلبها في تصحيح أخطاء المستشرقين عن الإسلام، من مؤلفاته: الطريق إلى مكة، رسالة القرآن وغيرها.
انظر: المستشرقون، نجيب العقيقي، ج2، ص291.

الأولين في الأعصر الحديثة كانوا مبشرين نصارى يعملون في البلاد الإسلامية، وكانت الصورة المشوّهة التي اصطنعوها من تعاليم الإسلام، وتاريخه مدبرة على أساس يضمن التأثير في موقف الأوروبيين من الوثنين، غير أن هذا الالتواء العقلي قد استمر مع أن علوم الاستشراق[1] قد تحررت من نفوذ التبشير و لم يبق لعلوم الاستشراق هذه عذر من حمية دينية جاهلية تسيء توجيهها..."[2] ،ويبين المستشرق الألماني –رودي بارت–[3] هدف الاستشراق خلال نشأته فيقول:"كان الهدف من هذه الجهود الإستراتيجية في ذلك العصر، وفي القرون التالية، هو التبشير: وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى الدين المسيحي"[4].

أما المستشرقون اليهود، فقد أقبلوا على الاستشراق لأسباب دينية، وسياسية تتصل بخدمة الصهيونية، وظل اليهود طوال أدوار التاريخ المتعاقبة، يقذفون بالأفكار المعادية للإسلام، وحتى عصرنا الحاضر الذي شهد نشاطا يهوديا عارما في هذا المجال، فقاموا على كل صعيد، وركبوا كل سبيل، وجندوا كل شيء من أجل نشر الفكر المعادي للإسلام والمسلمين[5].

إن استحكام الحقد في قلوب اليهود والنصارى جعلهم يصرفون الوقت والجهد والمال، في سبيل محاربة هذا الدين، وصدق الله تعالى حين قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[6].

---

[1]–الاستشراق: تعبير يدل على الاتجاه نحو الشرق، ويطلق على كل ما يبحث في أمور الشرقيين وثقافتهم وتاريخهم. ويقصد به ذلك التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي،والتي تشمل حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته. ولقد أسهم هذا التيار في صياغة التصورات الغربية عن الشرق عامة،وعن العالم الإسلامي بصورة خاصة. انظر:الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب و الأحزاب المعاصرة،إشراف مانع بن حماد الجهني، ج2، ص687.

[2]–المنهج الاستشراقي في دراسة السنة النبوية وعلومها، عبد العزيز فارح، ص31–32.

[3]–رودي بارت: مستشرق ألماني، ولد عام 1901م، درس في جامعة توبنجن اللغات السامية والتركية والفارسية مابين 1920–1924م، وتخرج على يد المستشرق الألماني ليتمان، أمضى سنتين في القاهرة، 1925–1926م، كان اهتمامه في البداية بالأدب الشعبي، لكنه تحول إلى الاهتمام باللغة العربية والدراسات الإسلامية، وبخاصة القرآن الكريم، من أهم مؤلفاته: محمد والقرآن، ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الألمانية، وله كتاب عن القرآن بعنوان: القرآن تعليق وفهرست. انظر: الاستشراق، مازن مطبقاني، ص40.

[4]–الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي، محمد عبد الله الشرقاوي، ص11، نقلا عن الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص9.

[5]–انظر: الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، إسماعيل علي محمد، ص38.

[6]–سورة البقرة، الآية: 120.

لكن المؤسف هو انخداع كثير من أبناء المسلمين بشبهاتهم، وسيرهم على سبيلهم.

2-التأثر بالمعتزلة[1]:

يظن كثير من أبناء الإسلام أن أفكار المعتزلة طواها الزمان واندثرت في أعماق التاريخ، وهذا ظن لا حقيقة له، والواقع يخالفه؛ فهناك كثير ممن وجد في هذا العصر ممن يظن أنه من أهل العلم، وحماة الإسلام، يمجد أهل الاعتزال، ويلتزم نهجهم، ويدافع عن ذلك، مستميتا في الدفاع عنهم متبنيا آراءهم وأقوالهم، يذب عنها طعن كل طاعن، ويذم بسببها كل معترض[2].

فهذا أحمد أمين[3] يشيد بفضلهم، ويرى لهم اليد الطولى في الدفاع عن الإسلام يقول:"وكان للمعتزلة الفضل الأكبر في علم الكلام، لأنهم كانوا أكبر المدافعين عن الإسلام لما كان يثيره اليهود والنصارى الوثنيون من هبوب، حتى لقد كانوا فيما روي يرسلون أتباعهم الكثيرين إلى البلدان الأخرى لرد هذا الهجوم ردا عقليا"[4].

واعتبرهم زهدي جار الله[5]، أعظم من حمل الإسلام ونشره ودافع عنه قال: "المعتزلة وقفوا أنفسهم على الدفاع عن الدين الإسلامي بالرد على خصومه، وحمله إلى أقاصي الأرض للتبشير به، وأنهم تحملوا في سبيل ذلك العناء والمشقات، وسهروا الليالي الطوال يضعون الكتب، والمصنفات، ومنهم من لقي حتفه، وليس يذكر التاريخ أن أحدا من المسلمين كان أشد منهم تحمسا لتلك العناية ولا أعظم حرصا عليها"[6].

---

[1]المعتزلة: طائفة اعتزلت حلقة الإمام الحسن البصري،بسبب خلاف في حكم الفاسق، وقالت بالمنزلة بين المنزلتين ، تزعمها واصل بن عطاء.انظر: الملل والنحل للشهرستاني،ص27، وموقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها،ص17-18.

[2]موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ج2، ص183.بتصرف

[3]-أحمد أمين (1878-1954م): من تلاميذ الشيخ محمد عبده، اشتغل في بداية حياته بالتدريس، أنشأ مع نخبة من أصدقائه جمعيات ثقافية وعلمية، وأخرى للتأليف والترجمة والنشر، وأسهم في إنشاء الجامعة الشعبية ومعهد المخطوطات، من مؤلفاته: فجر الإسلام، ضحى الإسلام ثلاثة أجزاء، ظهر الإسلام أربعة أجزاء، فيض الخاطر عشرة أجزاء، وغيرها. انظر: الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، لخير الدين الزركلي، ج1، ص101-102.

[4]-ظهر الإسلام، أحمد أمين، ج2، ص50.

[5]-زهدي جار الله: ولد في القدس عام 1914م، درس الابتدائية في الكلية الراشدية، والثانوية في الكلية العربية 1929م، وانتسب إلى الجامعة الأمريكية في بيروت، ونال بكالوريوس في التاريخ عام 1932م، من مؤلفاته: الشخصية الأمريكية، تكوينها ومقوماتها، وله مجموعة مقالات أدبية. انظر: http://alkodslana.com

[6]-المعتزلة، زهدي حسن جار الله، ص46.

إن تأثر هذه الفئة بالمعتزلة، لم يقف عند حد مدحهم والإطراء عليهم بما هو ضد حقيقتهم بل تعدى إلى السير على نهجهم وجعل العقل مقدما على النص، وارتضاء أحكامه فيما لا يصلح أن يكون فيه حكما[1]، فردوا كثيرا من السنن، وفوق هذا التأثر بالاتجاه الاستشراقين، وشبهاته حول السنة النبوية،وفي مقابل هذا كله يذمّون أهل الحديث، أهل السنة والجماعة، حملة سنة النبي صلى الله عليه وسلم، الذابين عنها، يحذرون الناس منهم، ويحطون من قدرهم، ويزهدون الناس فيهم...إلخ.

قال محمود أبورية[2]: "فترى ماذا تكون حال كثيرين من الذين يزعمون اليوم أنهم من المحدثين، أولئك الذين يتسللون بين أشباههم من العامة، ومبلغ علمهم أنهم قرأوا بعض كتب الحديث واستظهروا عددا مما فيها، يجترونه ليؤيدوا به باطل المعتقدات وسوء العادات ويروجوا به ما فشى بين الناس من الترهات والخرافات، لكي يختلسوا احترام الدهماء وثقتهم، ويأكلوا بالباطل والإثم أموالهم"[3].

3- تنكب منهج أهل السنة والجماعة:

صنف الشيخان صحيحيهما على طريقة المحدثين من أهل السنة، وضمّناهما أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، في حين نجد أن من يتعرض لهما بالطعن والتشكيك هو ممن تلبس ببدعة عقدية، كالرفض والاعتزال ، أخرجته عن دائرة أهل السنة والجماعة، والمعروف عن أصحاب المذاهب العقدية، أنهم يجعلون المذهب هو الأصل الذي يتحاكم إليه، فما وافقه قبلوه وما خالفه ردوه، يقول أبو الحسن الكرخي الحنفي:"كل آية تخالف ما عليه أصحابنا فهي مؤولة أو منسوخة، وكل حديث كذلك فهو مؤول أو منسوخ".[4]

فالمذهب هو الأصل عندهم والقرآن والسنة تبع له.

---

[1]-انظر: المعتزلة بين القديم والحديث، محمد العبده وطارق عبد الحليم، ص26.

[2]-محمود أبو رية (1922-2004م): كاتب مصري ،كان منتسبا إلى الأزهر في صدر شبابه، فلما انتقل إلى مرحلة الثانوية أعياه أن ينجح فيها أكثر من مرة، فعمل مصححا للأخطاء المطبعية في بلده، ثم موظفا في دائرة البلديـــة، حـــتى أحيـــل إلى التقاعد. من مصنفاته: أضواء على السنة المحمدية، شيخ المضيرة (أبو هريرة)، قصة الحديث المحمدي.

انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لمصطفى السباعي، ص466.

[3]-أضواء على السنة المحمدية، محمود أبورية، ص329.

[4]-الدر المختار، ج1، ص4.

هذا إضافة إلى جهلهم بعلم الحديث، وعجزهم عن التمييز بين الصحيح والسقيم، فكيف يلتفت إلى طعونهم في الصحيحين، وكيف توضع شبهاتهم في ميزان النقد؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" فإن فرض أن أحدا نقل مذهب السلف كما يذكره، فإما أن يكون قليل المعرفة بآثار السلف كأبي المعالي، وأبي حامد الغزالي، وابن الخطيب، وأمثالهم ممن لم يكن لهم من المعرفة بالحديث ما يعدون به من عوام أهل الصناعة، فضلا عن خواصها، ولم يكن الواحد من هؤلاء يعرف البخاري ومسلما، وأحاديثهما إلا بالسماع، كما يذكر ذلك العامة، ولا يميزون بين الحديث الصحيح المتواتر عند أهل العلم بالحديث، وبين الحديث المفترى المكذوب، وكتبهم أصدق شاهد بذلك، ففيها عجائب، وتجد عامة هؤلاء الخارجين عن منهاج السلف من المتكلمة والمتصوفة يعترف بذلك إما عند الموت وإما قبل الموت، والحكايات في هذا كثيرة معروفة"[1].

فالشيعة مثلا: عقيدتهم مبنية على سب الصحابة والقول بعصمة الأئمة، والوصية بالخلافة لعلي... لذا فهم يضيقون ذرعا بالصحيحين، وبالشيخين، وبالمحدثين من أهل السنة عموما؛ فالصحيحان ليس فيهما ما يؤيد ضلالاتهم، بل فيهما ما يهدمها من أساسها، كما أنهما مليئان بفضائل الصحابة كأبي بكر، وعمر وعائشة،والمعتزلة مثلا، يردون كثيرا من أحاديث الصحيحين، كأحاديث الصفات، وأحاديث عذاب القبر ونعيمه....إلخ لأنها تخالف أصول معتقدهم.وقد تنبه علماء السنة منذ القديم لطغيان التمذهب العقدي، وأثره على ثوابت الدين، فألفوا في ذلك ما يرد على الخصوم كما فعل ابن قتيبة في كتابه (تأويل مختلف الحديث) حين رد على طعون المعتزلة في الأحاديث، وفنّد شبهاتهم حولها،وكذلك ما ذكر الحاكم في كتابه (المستدرك)، حين صنف من تكلم في أبي هريرة قال:" وإنما يتكلم في أبي هريرة لدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم، فلا يفهمون معاني الأخبار، إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يروونها خلاف مذهبهم-الذي هو كفر-فيشتمون أبا هريرة ويرمونه بما الله تعالى قد نزهه عنه، تمويها على الرعاع والسفلة، أن أخباره لا تثبت بها الحجة،وإما خارجي يرى السيف على أمة محمد صلى الله عليه وسلم ولا يرى طاعة ولا إمام، إذا سمع أخبار أبي هريرة-رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم خلاف مذهبهم الذي هو ضلال، لم يجد حيلة في دفع أخباره بحجة وبرهان، كان مفزعه الوقيعة في أبي

[1]- مجموع الفتاوى، ج4، ص71.

هريرة،أو قدري اعتزل الإسلام وأهله، وكفر أهل الإسلام الذين يتبعون الأقدار الماضية التي قدرها الله تعالى وقضاها قبل كسب العباد لها، إذا نظر إلى أخبار أبي هريرة التي قد رواها عن النبي صلى الله عليه وسلم في إثبات القدر لم يجد بحجة يريد صلاح مقالته التي هي كفر وشرك، كانت حجته عند نفسه، أن أخبار أبي هريرة لا يجوز الاحتجاج بها،أو جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مظانه، إذا سمع أخبار أبي هريرة فيما يخالف مذهب من قد اجتبى مذهبه وأخباره، تقليدا بلا حجة ولا برهان، تكلم في أبي هريرة ودفع أخباره التي تخالف مذهبه، ويحتج بأخباره على مخالفيه، إذا كانت أخباره موافقة لمذهبه.

وقد أنكر بعض هذه الفرق على أبي هريرة أخبارا لم يفهموا معناها، أنا ذاكر بعضها بمشيئة الله"[1].

4- عدم الاعتزاز بالإسلام:

إن الاعتزاز بالإسلام، من تمام عقيدة المسلم، وعزة شخصيته واستقلاليتها، والالتزام بأحكام الإسلام هو السبيل الوحيد لنيل السعادة والعزة في الدنيا والآخرة، قال تعالى:﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾[2].

والمسلم المعتز بدينه، على يقين تام بسلامة طريقه ومنهجه «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم» وبالمقابل لا يشك بأن ما عليه أعداء الله باطل محض يفضي إلى العطب والنار[3].

لكن بعض المسلمين، نتيجة لافتتانهم بما عليه الغرب من مدنية زائفة، وما حصل لهم من انبهار، وانكسار أمام أعداء الدين، بدل أن يكون شعارهم « إن هدى الله هو الهدى»، حصل لهم تخاذل وانكسار أمام أعداء الدين، فأنكروا كثيرا من أحكام الشرع، وردوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة، أو حاولوا تلميعها بصورة تظهر الدين على وفق ما يرضي الغرب، وضلالاته ،وأحكامه الوضعية؛لهذا نجد بعض من يرد أحاديث في الصحيحين يعلل فعله بهذه العلة.

---

[1]-المستدرك على الصحيحين، ج3، ص586.

[2]-سورة فاطر، الآية: 10.

[3]-انظر: المسلم بين الهوية الإسلامية والهوية الجاهلية، علي نايف الشحود، ج1، ص10.

5- تعظيم الحس وضعف الإيمان بالغيب:

امتحن الله تعالى عباده بأن فرض عليهم الإيمان بالغيب وجعله من صفات المؤمنين المتقين، قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾[1]

وقد جاءت الشريعة بكثير من الأمور الغيبية التي لا سبيل للإنسان إلى العلم بها إلا بطريق الوحي الثابت في الكتاب والسنة، ولا سبيل للعقل مجردا عن الإيمان، التصديق بها.

كالحديث عن الله تعالى، وصفاته، وأفعاله، وعن الملائكة، والنبيين، والجنة والنار، وغير ذلك من الحقائق الإيمانية الغيبية[2].

ولكن تأثر بعض أبناء المسلمين بالعقلية المادية الغربية، التي لا تكاد تؤمن إلا بالمحسوس، أو ما يخضع لوسائل المعرفة البشرية، تلك الوسائل المحدودة، جعل الإيمان بالغيب يهتز ويضعف عندهم، فكل ما لا تؤمن به العقلية الغربية، حاولوا-بكل وسيلة-أن يخضعوه لمقررات العلم الحديث، حتى يوافقها ويسايرها، ولو أدى ذلك إلى تعطيل النصوص وتحريفها[3]."وقد ابتدأ ظهور نزعة تقريب الغيبيات من المفاهيم المادية السائدة في الغرب، على يد أحمد سيد خان[4] الذي اعتمد منهجا جديدا عصريا في تفسير القرآن، بحيث لا يناقض القرآن وقوانين الطبيعة، ورفض كل التفاسير السابقة، واعتبرها غير ملزمة له بشيء، مما أدى ...إلى اعتبار قصة صاحب الحمار الذي مر على القرية(الخاوية على عروشها) من قبيل المنام وأنها لم تقع حقيقة، وكذلك قصة إبراهيم عليه السلام مع الطيور الأربعة، من قبيل ما يراه الإنسان في نومه، ولم تحدث حقيقة، ويونس لم يبتلعه الحوت في جوفه لأن معنى التقمه أمسكه في فمه...إلخ"[5]

---

[1]-سورة البقرة، الآية: 1-3.

[2]-انظر: أركان الإيمان، علي بن نايف الشحود، ص7.

[3]-الاتجاهات العقلانية الحديثة، ناصر بن عبد الكريم العقل، ص364-بتصرف-

[4]-أحمد سيد خان (1832-1890م): محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله، أبو الطيب الحسيني البخاري القنوجي، الإمام المجدّد المصلح، ولد في "قنوج" بالهند، وتعلم في "دلهي"، وأخذ عن علمائها، ثم سافر إلى مكة حاجا فمكث فيها زمنا، وأخذ عن علمائها، سافر بعدها إلى "بهوبال" طلبا للمعيشة، فتزوج من ملكتها، ومكث فيها إلى توفي، من مؤلفاته: الروضة الندية، فتح البيان في مقاصد القرآن. انظر: الأعلام،للزركلي، ج6، ص167.

[5]-التجديد في الفكر الإسلامي، عدنان محمد أمامة، ص395.

وردت الكثير من الأحاديث النبوية التي تكلمت عن الغيبات، بناء على هذا الأصل الفاسد.

وهذا الشيخ رشيد رضا [1]يستشكل حديث سجود الشمس[2]، ويصرح عن سبب استشكاله بقوله: "وقد صرحنا في حديث الشمس، بأن وجه الإشكال فيه هو مخالفة الواقع المشاهد له، وهو كون الشمس طالعة دائما لا تغيب عن الأرض طرفة عين"[3]؛ وينقل عن شيخه محمد عبده[4]،حينما سئل عن المسيح الدجال قوله:" إن الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها، وإن القرآن أعظم هاد لهذه الحكم والأسرار وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنية لذلك، فلا حاجة للبشر إلى إصلاح وراء الرجوع إلى ذلك"[5].

قال عبد الله القصيمي في كتابه (مشكلات الأحاديث النبوية) عند حديث «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[6]: "وقد يستشكل هذا الحديث من يتحكم فيه الحس،ومن يصعب عليه أن يؤمن إلا بما وقع عليه بصره ورآه بكلتا عينيه، ويقول: كيف يدخل الشيطان أجسامنا ونحن لا نشعر لأنه لا يراه؟ هذا ما يقع فيه كثير من الناس، الذين لم يعرفوا من العلوم إلا أنهم سمعوا العالم

---

[1]-رشيد رضا (1865هـ - 1935): محمد رشيد رضا بن محمد شمس الدين خليفة القلموني البغدادي، الإمام الفقيه المصلح المجدد، ولد بالقلمون، من أعمال طرابلس، وفيها نشأ وتعلم، ثم سافر إلى مصر و التقى بمحمد عبده ولازمه، وهناك أسس مجلة(المنار)، توفي بالسويس، من مؤلفاته: تاريخ الأستاذ الإمام، الوحي المحمدي، الوهابيون والحجاز، وغيرها. انظر الأعلام، للزركلي، ج6،ص120.

[2]-أخرجه البخاري في الصحيح في كتاب بدء الخلق، باب صفة الشمس والقمر،ح 3199. وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴾ [يس:38] ، ح 4802. وكتاب التوحيد، ﴿وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ [هود:7]، ح 7424.

ومسلم في الصحيح كتاب الإيمان، باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، ج1، ص137، ح157.

[3]-المنار، ج32، ص777.

[4]-محمد عبده(1850_1905م):هومحمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني،تعلم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر.عمل في التعليم، وكتب في الصحف خاصة جريدة(الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها، سافر إلى باريس فأصدر مع أستاذه جمال الدين الأفغاني جريدة(العروة الوثقى)، وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف، ثم تولى منصب القضاء، فمفتيا للديار المصرية، توفي بالإسكندرية ودفن بالقاهرة، من مؤلفاته: رسالة التوحيد، الإسلام والرد على منتقديه، تفسير القرآن الكريم_لم يتمه_وغيرها.انظر: الأعلام، ج6، ص252 .

[5]-تفسير المنار، محمد رشيد رضا، ج3، ص317-318.

[6]-أخرجه البخاري في الصحيح، كتاب الصوم،باب هل يدرأ المعتكف على نفسه،ح2039.

العصري المثقف، وهو الذي لا يثق بشيء قالته الأسلاف أو جاءت به الديانات إلا أن يلمسه بكلتا يديه، ويسمعه بكلتا أذنيه"[1] والأعظم من هذا والأخطر، أن البعض لا يرى الكفر بالغيب من نواقض الإيمان، يقول حسن حنفي[2]:" يمكن للمسلم المعاصر أن ينكر كل الجانب الغيبي في الدين، ويكون مسلما حقا في سلوكه"[3].

6-ضعف اليقين بنبوته صلى الله عليه وسلم (أو عدم تعظيمه صلى الله عليه وسلم):

ويظهر واضحا، من خلال التعامل مع سنته، وإجراء المقاييس البشرية على أحاديثه صلى الله عليه وسلم، دون مراعاة نبوته ورسالته،وكأنه بشر عادي،يؤخذ من كلامه ويرد.

قال الشيخ السباعي-رحمه الله-:" نعم إن العلماء رحمهم الله، لم يستعملوا تلك المقاييس-أي قواعد نقد المتن- إلا في النطاق الذي لا بد منه، فلم يردوا حديثا إلا بعد تعذر التأويل، بحيث يتحقق فيه على وجه التأكيد فقد شرط من شروط الصحة، ووجود علامة من علامات الوضع،وعذر العلماء رحمهم الله واضح فيما فعلوه؛ وذلك أنهم يبحثون في أحاديث تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وللنبي ظروف خاصة به، تجعل مقياس النقد في حديثه أدق وأصعب من مقياس النقد في أحاديث الناس، لأنه رسول يتلقى الوحي من الله، أوتي جوامع الكلم وأعطي سلطة التشريع وأحاط من أسرار الغيب بما لم يحط به إنسان عادي"[4].

أما الحداثيون والعقلانيون ممن تأثر بالمستشرقين، فكتاباتهم شاهدة على عدم تعظيمهم له صلى الله عليه وسلم ولا لسنته،فإنهم ساروا على نهج المستشرقين، وطبقوا قواعدهم فيما يتعلق بسنته الشريفة صلى الله عليه وسلم، قال السباعي-رحمه الله-:" أما المستشرقون، فلم يقفوا من رسول الله هذا الموقف، بل نقدوا أحاديثه على وفق ما يعرفون من أصول النقد العام لأخبار الناس العاديين، ذلك لأنهم ينظرون إلى الرسول كرجل عادي لم يتصل بوحي، و لم يطلعه الله على مغيبات و لم يميزه

---

[1]- مشكلات الأحاديث النبوية،عبد الله القصيمي،ص25.

[2]-حسن حنفي: من مواليد القاهرة عام1935م، تخرج من جامعة القاهرة عام1965م، وانضم في شبابه إلى جماعة الإخوان المسلمين، ثم انشغل بالتيار الاشتراكي الذي تبنته الثورة المصرية، سافر إلى فرنسا، حيث حصل على الدكتوراه من جامعة السوربون، ويعتبر من الرعيل الأول في العالم العربي الذي طبق على النص الديني آليات النص البشري.انظر: بحوث ندوة القضاء الشرعي في العصر الحاضر، ص17_18 .

[3]-قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ص93.

[4]-السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص417.

عن بني الإنسان بأنواع من المعارف والكرامات،...وهكذا وقفوا من رسولنا عليه الصلاة والسلام موقف المنكر لرسالته المتشكك في صدق ما بلغ به عن الله، المماري في سمو روحه التي اتصلت بالملأ الأعلى ولم يكتفوا بذلك بل حملوا على علمائنا لأنهم لم يقفوا منه هذا الموقف،...وعلماؤنا معذورون إذ لم يتجهوا مع المستشرقين في هذا الاتجاه الخاطئ، لأنهم يؤمنون بمحمد بن عبد الله رسولا كريما، أرسله الله إلى الناس أجمعين بشرع محكم، وسعادة شاملة للناس في دنياهم وآخرهم"[1].

[1]-السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصدر سابق، ص 420.

المطلب الثاني: المنطلقات الفكرية لخصوم الصحيحين:

كما أن العقيدة كانت دافعا مهما للطعن في الصحيحين من قبل خصومهما، فإنّ الشبهات والطعون الموجهة لهما –أي للصحيحين– تعكس عن الخلفيات الفكرية لأصحابها، ولعل أبرزها:

1-تركيز خصوم الصحيحين على المتون:

ركز خصوم الصحيحين على الطعن في متون الأحاديث أكثر من الأسانيد، محتجين بمخالفتها للعقل والقرآن أو مبادئ الشريعة...إلخ فأعطوا بذلك الحجة القوية لمن يردّ عليهم، وكشفوا عن جهلهم الفاضح بعلم الحديث الذي لا ينفك فيه الإسناد عن المتن، بل إن المتن هو ثمرة دراسة الإسناد، كما أنهم كشفوا عن اغترارهم بعقولهم القاصرة، وكأن العلماء كانوا طيلة قرون بلا عقول ولا فهم للقرآن، ومبادئ دينهم، حتى سخا الزمان بمثل هؤلاء المغرضين، ويكشف لنا الدكتور صبحي الصالح عن العلاقة المتلازمة بين السند والمتن في دراسة المحدثين فيقول:"على أننا لن نرتكب الحماقة التي لا يزال المستشرقون، وتلاميذهم المخدوعين بعلمهم"الغزير"يرتكبونها كلما عرضوا للحديث النبوي،إذ يفصلون بين السند والمتن،مثلما يفصل بين خصمين لا يلتقيان أو ضرتين لا تجتمعان،فمقاييس المحدثين في السند لا تفصل عن مقاييسهم في المتن إلا على سبيل التوضيح والتبويب والتقسيم"[1].

2-انبهار خصوم الصحيحين بالمدينة الغربية وشعاراتها البراقة:

إن التقدم العلمي الكبير الذي يشهده الغرب في ميدان العلوم الكونية، وبالمقابل تدهور العالم الإسلامي مع ما يتعرض له من غزو ثقافي، وعلمي وتربوي، ولّد هزيمة نفسية[2] لدى كثير من المثقفين المسلمين ممن يعيش خواءا عقديا، فأعادوا النظر في التراث بزعمهم ممثلا في كتب السنة؛ لأنه يقف أمام البحث العلمي والتحضر، حجر عثرة، كما أنه يعرض الإسلام بصورة متخلفة، ورجعية، ودموية....فلا بد من إعادة النظر في محتوى كتب السنة، وقراءته قراءة تتماشى مع روح العصر في زمن الحرية والمساواة وحقوق الإنسان، وحرية المرأة...إلخ.

والحقيقة إن الجري وراء الغرب وتعاليمه إنما هو جرى الغالب وراء المغلوب، "فالمغلوب مولع

---

[1]-نقلا عن بحث بعنوان: دفع شبهات المستشرقين حول السنة، لأحمد بوقرين، ص41.

[2]-انظر: موسوعة الأسرة المسلمة،علي بن نايف الشحود، ج18، ص451.

أبدأ بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيّه ونحلته وسائر أحواله وعوائده، والسبب في ذلك أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت إليه...". [1]

يقول الشيخ محمود شاكر: "فاقرأ الآن معي تاريخك بعين عربية بصيرة لا تغفل، لا بعين أوربية تخالطها نخوة وطنية...". [2]

كما أن انبهارهم وانخداعهم بما عليه أعداء الإسلام من تحضر زائف يعكس عن: "جهلهم بحقائق التراث الإسلامي، وعدم اطلاعهم عليه من ينابيعه الصافية.

-وانخداعهم بالأسلوب العلمي "المزعوم" الذي يدعيه أولئك الخصوم.

- أو رغبتهم في الشهرة والتظاهر بالتحرر الفكري، من ربقة التقليد كما يدعون.

-أو وقوعهم تحت تأثير الأهواء و"انحرافات" فكرية لا يجدون مجالا للتعبير عنها إلا بالتستر وراء أعداء الإسلام". [3]

فهل قدم هذا المنهج للإسلام شيئا غير تشويه صورته والتشكيك في مصادره الأصلية؟ وهل قرّب هذا المنهج الإسلام لخصومه فأذعنوا له، أم أنهم ازدادوا علّوا واستكبارا؟.

3-الهوى والعصبية وغياب الموضوعية:

لقد كان لزاما على من يتكلم في نقد الحديث، أن يتصل به اتصالا مباشرا مجردا عن النتائج التي تسبق مقدماتها، والأحكام التي يبحث لها عن مسوغات[4].

غير أن الطاعنين في الصحيحين من مستشرقين ومن اغتر بشبههم من حداثيين[5] وعقلانيين[6]،

---

[1]-تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، ص147.

[2]-رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، ص93.

[3]-السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص 22-23.

[4]-انظر: الاتجاهات الفقهية عند أصحاب الحديث في القرن الثالث الهجري، عبد المجيد محمود عبد المجيد، ص283.

[5]-الحداثيون: هم أصحاب الاتجاه الحداثي ، وهو مذهب فكري أدبي علماني،مبني على عدة عقائد غربية ومذاهب فلسفية، يقوم على الثورة على الموروث ونقده وتفسيره بحسب وجهة نظر القارئ. انظر:المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين، أنس سليمان المصري، ص6.

[6]-العقلانيون: هم المتبنون للعقلانية أو المذهب العقلي،وهو اتجاه لتمجيد العقل واعتماد أحكامه، أصاب أو أخطأ ، ضد الاتجاه الديني مهما كان حقا ومهما كان الذي نسب إليه صوابا ،فالمحكم في هذا الاتجاه هو العقل. انظر: كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ص159.

ومن أصحاب الفرق العقدية، ومتعصبة المذاهب، وكلهم ممن تخالف أصولهم أصول مدرسة الحديث، نجدهم ينطلقون في عرض شبهاتهم،وطعونهم في أحاديث الصحيحين من قناعات مسبقة، متخذين من الهوى وواجب النصرة للمذهب، والأفكار المسبقة، ميزانا للحكم على الأحاديث، بدل العلم، والدليل؛ فما وافق هواهم قبلوه، وإن كان ضعيفا بل موضوعا، وما خالف هواهم ردّوه، وشحذوا الأدلة الزائفة لإبطاله وأثاروا الشبه حوله، بادعاء مخالفته للعلم أو القرآن أو العقل أو نقله مبتورا عن محل الشاهد، أو تجريده من سياقه، أو تصحيفه... وإن كان في الصحيحين، فهم يأخذون من النص ما يخدم أغراضهم وأهدافهم.

ولقد كان الأولى لهم، والأجدر بهم، إن قصدوا البحث عن الحقيقة فعلا، واستشكلوا بعض الأحاديث أن يتجردوا من الهوى والغرض والعصبية حتى لا يقعوا في أخطاء جسيمة تعود بالضرر عليهم وعلى مناهجهم التي يدعون تفوقها في ميدان البحث العلمي، وكان عليهم أن يرجعوا إلى أهل الاختصاص لرفع اللّبس الحاصل لهم،...قال الإمام البخاري:"ولقد قال وكيع: من طلب الحديث كما جاء فهو صاحب سنة، ومن طلب الحديث ليقوي هواه فهو صاحب بدعة".[1]

وقال الإمام ابن القيم:"وأما من عكس الأمر، بعرض ماجاء به الرسول على ما اعتقده وانتحله، وقلّد فيه من أحسن به الظن، فليس يجدي الكلام معه شيئا فدعه وما اختاره لنفسه وولّه ما تولى، واحمد الله الذي عافاك مما ابتلاه به" [2] .

4-جهل خصوم الصحيحين بعلوم الحديث وعدم احترامهم التخصص العلمي:

فخصوم الصحيحين على درجة كبيرة من الجهل بمناهج النقاد في بيان الصحيح من السقيم، إضافة إلى الجهل بالشروط الصارمة والدقيقة التي وضعها العلماء لانتقاء الأحاديث، وتصحيحها، وعدم الاطلاع الكافي على كلام علمائنا وشروحهم هذه الأحاديث، وتوجيهها بما يرفع اللبس أو سوء الفهم. [3]

ورغم أننا في زمن التخصص العلمي، وكثير من خصوم الصحيحين هم من دعاة احترام التخصص، إلا أن المتأمل في سيرهم يجد معظمهم تخصصوا في العلوم الكونية من طب،

---

[1]-كتاب رفع اليدين في الصلاة،محمد بن إسماعيل البخاري، ج1، ص44.

[2]-الروح، ابن قيم الجوزية، ص63.

[3]-انظر:الواضح في مناهج المحدثين، ياسر الشمالي، ص100.

وهندسة...وقليل منهم درسوا بعض أنواع العلوم الشرعية كالتفسير والفقه أو حتى علم الحديث لكن التخصص وحده لا يكفي، فلا بدّ من التمكن، والإتقان حتى يبلغ الطالب مرتبة النقاد.

قال ابن حجر وهو يصف علم العلل الذي هو أساس النقد:" وهو من أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها، ولا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهما ثاقبا، وحفظا واسعا، ومعرفة تامة بمراتب الرواة، وملكة قوية بالأسانيد والمتون، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن" [1].

ولكن المغرضين، انكبوا عل الطعن في الصحيحين بلا هوادة، وتكلموا بجرأة وكأنهم نقاد جهابذة، فأتوا بالعجب العجاب وكما قيل:"من تكلم في غير فنّه أتى بالعجائب".

فهم لم يلتزموا الأمانة العلمية، وكانوا سببا لإيقاع العوام، وجهلة الناس في كثير من الشبه والضلالات، وضربوا بجهود العلماء على مدى العصور عوض الحائط غير مبالين بها.

"فالشيخ محمد الغزالي –رحمه الله- مثلا في كتابه (السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث) وقعت منه أخطاء فادحة نتيجة تدخله المباشر في فن الحديث تضعيفا وتصحيحا الذي ليس من تخصصه مع أنه عاب على كل من يتعاطى فنا غير فنه، ولهذا كان مخطئا في تحرير أبسط القضايا في علم الحديث حيث حصر الشذوذ والعلة من خصائص المتون وليس الأمر كذلك لأن الشذوذ والعلة يكونان في الإسناد أيضا".[2]

والأدهى من ذلك والأمر أن منهم من تجرأ على إنكار خصوصية أهل الحديث في أحقية التصحيح والتضعيف، وقالوا بجواز نقد كل ما يستشكل في الصحيحين من الأحاديث ولو لم يسبقوا إلى ذلك.[3]

5-مبالغة خصوم الصحيحين في تمجيد العقل وجعله حكما على الأحاديث:

بالغ أفراخ المعتزلة في الاعتداد والاغترار بالعقل، فقدّسوه، وأعطوه السلطة المطلقة، وتجاوزوا به الحد الذي حده الله له، اغتروا بما بلغه أسيادهم من تقدم-بظنهم-فحاولوا الالتحاق بالركب، و لم يجدوا إلا التنصل من الشرع وأحكامه سبيلا إلى ذلك، بإخضاعه إلى ميزان العقل البشري؛يقول

---

[1]-نزهة النظر، ص113.

[2]-انظر: الحديث المعلول قواعد وضوابط، حمزة المليباري، ص29.

[3]-انظر: نحو تفعيل قواعد المتن: إسماعيل الكردي، ص47 وما بعدها.

حسن حنفي:" العقل أساس الشرع، وكل ما حسنه العقل حسنه الشرع، بل إن العقل ما كان في حاجة الشرع، لأن الإنسان لا يحتاج إلى وحي، وما الوحي إلا لطف من الله وكرم منه، قد لا يحتاجه الإنسان لأن العقل فيه ما يغنيه"[1] ، لقد بلغ بكلامه هذا منتهى الاغترار بالعقل الذي هو "عاجز عن إدراك كثير من الحقائق بل عاجز عن إدراك حقيقة نفسه لضعفه وقصوره،فكيف يجعل حكما مقدما على الوحي الكامل الذي جاء من عند الله سبحانه وتعالى".[2]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" إن الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه أكمل الناس كشفا؛ وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول" [3].

وكان من اغترارهم بعقولهم، توهم وجود تعارض بين بعض نصوص الشرع والعقل، جعلوا العقل فيها هو الحكم الفصل، قال محمد عبده:" اتفق أهل الملة الإسلامية؛إلا قليلا ممن لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أخذ بما دل عليه العقل..." [4] .

ويؤلف سامر إسلامبولي[5] كتابه (تحرير العقل من النقل، قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم) يدعي فيه بأن الوحي هو القرآن وحده وأن الحديث ليس وحيا من الله، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس له أن يحدث بغير حديث الله القرآن، وعرض خمسين حديثا من صحيحي البخاري ومسلم كنموذج للدراسة معتمدا على القرآن والواقع والتفكير.

فهذه النقول تؤكد لنا مدى استحكام النزعة العقلية لدى أصحاب هذا الاتجاه، ومدى اغترارهم بعقولهم، وكأن المحدثين عبر قرون لم يكن لهم عقول وهم يمحصون السنة النبوية، فظلت الأمة تدين بأحاديث باطلة طيلة قرون، حتى جاء أصحاب العقول النيّرة وكشفوا عن وجه الحق !

---

[1]-قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر، ص92.

[2]-انظر:موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، الأمين الصادق الأمين، ج1،ص106.

[3]-الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية،ج 1،ص147.

[4]-الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، محمد عمارة، ص282.

[5]-سامر بن محمد نزار إسلامبولي، باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي، ينتمي إلى طائفة القرآنيين، ولد في دمشق بسوريا، عام 1963م، مؤسس منتدى السلام الاجتماعي النهضوي، وعضو في اتحاد الكتاب العرب، وباحث في مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة، عرف بكتاباته الجريئة في قضايا السنة، من مؤلفاته: تحرير العقل من النقل.

-انظر: مدونته على النت:http://samer-is.maktoobblog.com

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "ولولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع،والضار في المعاش والمعاد،فمن أعظم نعم الله على عباده وأشرف منه عليهم، أن أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه،وبين لهم الصراط المستقيم،ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم بل أشر حالا منها،فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية،ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية،وهو أسوأ حالا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم"[1].

إن أكبر دليل يبطل هذا الافتراء هو النظر في آليات العملية النقدية التي يسلكها المحدثون حتى الوصول إلى الحكم على الحديث، وفيها بيان لمدى مراعاتهم للعقل.

يقول الشيخ عبد الرحمن المعلمي ردا على هذه الفِرية:" أما نفي العلم والعقل عنهم فلا التفات إليه، ولكن هل راعوا العقل في قبول الحديث وتصحيحه؟ أقول:نعم،راعوا ذلك في أربعة مواطن.

1-عند السماع.

2-عند التحديث.

3-وعند الحكم على الرواة

وعند الحكم على الأحاديث"[2]

يستفاد من هذه الكلمة أن المحدثين لم يغيبوا العقل في العملية الحديثية النقدية تحملا وأداء وتصحيحا وتضعيفا، بل كان للعقل دوره الكبير.

يقول الإمام الحاكم:" معرفة علل الحديث، وهو علم برأسه غير الصحيح والسقيم والجرح والتعديل.وإنما يعلل الحديث من أوجه ليس للجرح فيها مدخل فإن حديث المجروح ساقط واه وعلة الحديث تكثر في أحاديث الثقات أن يحدثوا بحديث له علة، فيخفي عليهم علمه، فيصير الحديث معلولا والحجة فيه عندنا الحفظ، والفهم والمعرفة لا غير"[3].

أما عن استشكال بعض العقول القاصرة بعض الأحاديث فلا يعني طرح الحديث دون أي كلفة، يقول الشيخ المعلمي:" اعلم أن الناس تختلف مداركهم وأفهامهم وآرائهم، ولا سيما بالأمور

---

[1]-مجموع الفتاوى، ج19، ص100.

[2]-الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة " من الزلل والتضليل والمجازفة، ص14.

[3]-معرفة علوم الحديث، ص113.

الدينية والغيبية، لقصور علم الناس في جانب علم الله تعالى وحكمته، ولهذا كان في القرآن آيات كثيرة يستشكلها كثير من الناس، وقد ألفت في ذلك كتب، وكذلك استشكل كثير من الناس كثيرا من الأحاديث الثابتة عن النبي ص، منها ما هو رواية كبار الصحابة أو عدد منهم كما مر، وبهذا تبين أن استشكال النص لا يعني بطلانه، ووجود النصوص التي يستشكل ظاهرها لم يقع في الكتاب والسنة عفوا، وإنما هو أمر مقصود شرعا، ليبلو الله تعالى ما في النفوس ويمتحن ما في الصدور، وييسر للعلماء أبوابا من الجهاد يرفعهم الله به درجات".[1]

قال الإمام الشاطبي مبيّنا منزلة العقل من الشرع:

أولا: "أن لا يجعل العقل حاكما بإطلاق، وقد ثبت عليه حاكم بإطلاق وهو الشرع، بل الواجب عليه أن يقدم ما حقه التقديم –وهو الشرع– ويؤخر ما حقه التأخير –وهو نظر العقل– لأنه لا يصح تقديم الناقص حاكما على الكامل، لأنه خلاف المعقول والمنقول، بل ضد القضية هو الموافق للأدلة فلا معدل عنه، ولذلك قال: اجعل الشرع في يمينك والعقل في يسارك، تنبيها على تقدم الشرع على العقل.

وثانيا: أنه إذا وجد في الشرع أخبار تقتضي خرق العادة الجارية المعتادة فلا ينبغي له أن يقدم بين يديه الإنكار بإطلاق".[2]

فالعقل الصريح لا يمكنه أن يناقض نصا صحيحا، لأن العقل متى ما كان سليما معافى، أذعن لسلطان النصوص،وخضع لأدلة الوحي، وتجرد من الكبر والغرور، لعلمه بأن نصوص الوحي معصومة عن الخطأ محفوظة بحفظ الله لها، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾.[3][4]

والعقول مختلفة متباينة في إدراكها وفهمها فما هو العقل الأمثل الذي يمكن أن يختار من بينها ليحكم على النصوص؟[5]

---

[1]–الأنوار الكاشفة، ص 218.

[2]–الاعتصام، ج2، ص236-237.

[3]–سورة الحجر، الآية: 9.

[4]–المدرسة العقلية، ص106.

[5]–المرجع نفسه، ص107.

ولقد كان لهذا الاتجاه العقلاني أثره السيء على السنة النبوية، وآراء أتباعه مبثوثة في كتبهم ومقالاتهم التي شنعوا فيها على أصحاب الحديث، وطعنوا في مناهجهم، وشككوا في أحقيتهم في نقد السنة، وجعلوا عقولهم هي الحكم والفيصل في عملية النقد، بدلا من قواعد المحدثين التي أثمرت عن كثير من الروايات المكذوبة والمخالفة للذوق السليم ولروح العصر –بزعمهم– ما أدى بالمسلمين إلى التخلف عن ركب الحضارة، فنتج عن هذا المنهج رد ورفض كثير من الأحاديث وإن كانت مروية في الصحيحين إذا استشكلوها، وخالفت عقولهم المفتونة بحضارة الغرب، فالحكم في النهاية يرجع إلى العقل.

يقول خالد منتصر[1]: "لسنا مطالبين بأن نتبع كل ما كتبه البخاري بمجرد صحة السند، فمن المهم جدا أن نناقش المتن إذا كان مخالفا للعقل، حتى ولو أجازه البخاري، والأمثلة كثيرة ومتعددة ولكن علماء الحديث المعاصرين كسالى عن التنقيب والبحث، ومرعوبون من فكرة تنقيح أحاديث البخاري، برغم أنه قد رفض من قبلهم أئمة ورجال دين مستنيرون بعض أحاديث البخاري لتعارضها مع العقل"[2].

أما جمال البنا[3]فقد ألف كتبا كثيرة كشف فيها عن منهجه الذي يراه الأسلم والأفضل، في نقد السنة وفهمها معتبرا العقل من أهم معايير النقد وضوابطه. قال في كتابه (السنة ودورها في الفقه الجديد): "إننا لا نحكم الهوى، والظن والرأي الخاص في نقد الأحاديث –فهو مستبعد– ولكن الذي لا يستبعد أبدا هو حكم العقل، لأنه لا بديل عنه إلا قبول الخرافة..."[4]

6- تأثر خصوم الصحيحين بالمستشرقين والحداثيين:

إن المتأمل لاتجاهات الطاعنين في الصحيحين يجدهم :

---

[1]–هو طبيب وكاتب مصري، له مقالات بصحيفة (المصري اليوم)، وحاليا هو رئيس قسم الجلدية والتناسلية بهيئة قناة السويس. انظر:http://www.khaledmontaser.com

[2]–وهم الإعجاز العلمي،ص42.

[3]–جمال البنا: هو ابن العالم المحدّث أحمد بن عبد الرحمن البنا، صاحب الفتح الرباني في ترتيب مسند أحمد، وشقيق الأستاذ حسن البنا، المرشد الأول لجماعة الإخوان المسلمين، ولد عام 1920م، عمل محاضرا بالجامعة العالمية والمعاهد المتخصصة من عام 1963م حتى 1993م، كثير التأليف مع جرأة حادة، لع مواقف سلبية تجاه السنة النبوية، من مؤلفاته: جناية قبيلة حدّثنا، الأصلان العظيمان، السنة ودورها في الفقه الجديد، وغيرها. توفي يوم 30 جانفي 2013م.

–انظر: http:// ar.wikipedia.org

[4]–السنة ودورها في الفقه الجديد.

إما مستشرقون وإما حداثيون أو عقلانيون،أشربت قلوبهم شبهاتهم واغتروا بمناهجهم،فلهجت بها ألسنتهم، وسودت بها الصحف أقلامهم، واغتنموا كل فرصة لترديدها.

أما شبهات المستشرقين حول السنة النبوية فكثيرة، أذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر:

1-ادعاؤهم بأن منهج المحدثين قام على النقدالخارجي (النظر في الرواة)، دون النقد الداخلي (النظر في المتن)، يقول شاخت[1]: "إن العلماء والمسلمين أخفوا نقدهم لمادة الحديث وراء نقدهم للإسناد نفسه"[2].

ويقول كايتاني[3]: "كل قصد المحدثين ينحصر ويتركز في واد جدب ممحل من سرد الأشخاص الذين نقلوا المروي، ولا يشغل أحد نفسه بنقد العبارة والمتن نفسه".[4]

2-تحريفهم لمفهوم السنة:حيث يعرفونها بأنها: مجموعة العادات والتقاليد الموروثة عن المجتمع الجاهلي، مع تعديلات جوهرية، نسبت إلى النبي صلى الله عليه وسلم".[5]

3-التشكيك في رواة السنة النبوية وبخاصة المكثرين كأبي هريرة من الصحابة والإمام الزهري من التابعين:

كثر القول في رواة الأحاديث النبوية في كتابات المستشرقين ووسائلهم الأخرى، ووضعوا مجموعة من هؤلاء الرواة الثقات موضع الشبهة والتشكيك في رواياتهم، بدعوى تأثرهم بالأحوال السياسية أو الاقتصادية التي كانوا يعيشون فيها، وكان على رأس قائمتهم علمان كبيران من أعلام الرواية هما الصحابي الجليل أبو هريرة -رضي الله عنه-، والإمام ابن شهاب الزهري -رحمه

---

[1]-جوزيف شاخت 1902-1969م:مستشرق يهودي ألماني،درس اللغات الشرقية وتخصص في العربية،وعين أستاذا في جامعة "فرايبورغ"،ثم الجامعة المصرية،ثم درس في الجزائر،ثم في كولومبيا بأمريكا إلى أن توفي ،اشتهر بدراسة التشريع في الإسلام. انظر: المستشرقون، ج2،ص469 -471، و الأعلام،ج8، ص234.

[2]-أصول الفقه لشاخت، ترجمة إبراهيم خورشيد وآخرين، ص64.

[3]-كايتاني: الأمير ليوني كايتاني (1869-1926م)، من أبرز المستشرقين الإيطاليين، كان يتقن عدّة لغات منها العربية والفارسية، عمل سفيرا لبلاده في الولايات المتحدة الأمريكية، زار كثيرا من البلدان الشرقية منها: إيران ومصر وسوريا ولبنان، أبرز مؤلفاته: حوليات الإسلام المكون من عشرة مجلدات، تناول تاريخ الإسلام حتى عام 35 للهجرة، أنفق كثيرا من أمواله على البعثات العلمية لدراسة المنطقة، يعدّ كتابه الحوليات مرجعا مهما لكثير من المسشرقين. انظر: الأعلام، ج5، ص250.

[4]-دائرة المعارف الإسلامية، إص1، ج2، ص279.

[5]-العقيدة والشريعة في الإسلام، جولد زيهر، ص40-41.

الله-[1].

4-ادعاؤهم بأن الوحي ما هو إلا أمراض عقلية ونفسية أصيب بها النبي -صلى الله عليه وسلم-:

قال جولد زيهر[2]:" وفي خلال النصف الأول من حياته اضطرته مشاغله إلى الاتصال بأوساط استقى منها أفكارا أخذ يجتريها في قرارة نفسه، وهو منطو في تأملاته أثناء عزلته، ولميل إدراكه وشعوره للتأملات المجردة والتي يلمح فيها أثر حالته المرضية، نراه ينساق ضد العقلية الدينية والأخلاقية لقومه الأقربين والأبعدين"[3].

وغيرها من الشبه التي أثيرت من طرفهم حول شخص النبي-صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وسيرته ومناهج المحدثين.

أما الاغترار بالاتجاه الحداثي ومناهجه فقد برز بشكل واضح من خلال إخضاع النصوص النبوية للقواعد الحداثية، وأذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر[4]:

أ-انعدام الدليل النقلي الخالص: فلا وجود مطلقا لدليل نقلي مصدق،ولا اعتبار لعلم الإسناد يقول حسن حنفي:"لا يعتمد على صدق الخبر سندا أو متنا، وكلاهما لا يثبتان إلا بالحس والعقل طبقا لشروط التواتر، فالخبر وحده ليس حجة، ولا يثبت شيئا على عكس ما هو سائد في الحركة السلفية المعاصرة على اعتمادها المطلق على «قال الله» و«قال الرسول» واستشهادها بالحجج النقلية وحدها دون إعمال الحس والعقل، وكأن الخبر حجة وكأن النقل برهان وأسقطت العقل والواقع من الحساب في حين أن العقل أساس النقل"[5].

ب- السنة النبوية وليدة الظروف السياسية: زعموا أن السنة النبوية كُتبت في ظروف سياسية

---

[1]-السنة قبل التدوين، عجاج الخطيب، ص437 و 501.

[2]-جولد زيهر (1850_1921م): مستشرق من أسرة يهودية مجرية، تعلم في "بودابست"، وتحصل على الدكتوراه من ألمانيا، رحل إلى سوريل وفلسطين ومصر، وعين أستاذا في جامعة "بودابست" عاصمة المجر، وتوفي بها. له مؤلفات باللغة الألمانية والإنجليزية و الفرنسية، في: الإسلام، والفقه الإسلامي، والأدب العربي، وترجم إلى الألمانية كتاب: (توجيه النظر إلى علم الأثر) لطاهر الجزائري.انظر: المستشرقون، ج3، ص40، والأعلام، ج1، ص84.

[3]-العقيدة والشريعة، جولد زيهر، ص7.

[4]-المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين، أنس سليمان أحمد المصري، ص17 وما بعدها.

[5]-التراث والتجديد من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، ص88.

ضاغطة، وأن الشيخين –البخاري ومسلم– ألفا صحيحيهما تحت تأثير السلطة السياسية العباسية، التي فرضت تأثيرها على المؤلِف والمؤلّف، وهذا مما يقود إلى التشكك من صحة الأحاديث المودعة في هذين الكتابين[1]. ويضع السنة في دائرة الاتهام ويلغي حجيتها.

جـ– النص النبوي تراث لا قداسة له: فهو خطاب بشري يمكن أن يخضع للنقد والنقض، "ظهر في التاريخ لمهمة خاصة ليس لها طابع الديمومة"[2].

"ففي نقد النص تستوي النصوص على اختلافها وهنا يمكن الجمع بين النص الفلسفي والنص النبوي"[3]

د–الخطاب النبوي خطاب لغوي قابل للنقد (نظرية موت المؤلف): يقول علي حرب[4]: "وكينونة النص تقتضي بالنظر إليه من دون إحالته لا إلى مؤلفه ولا إلى الواقع الخارجي"[5].

وهذا يقتضي إخضاع نصوص الصحيحين–وغيرهما من النصوص الشرعية–لآليات التفكيك والنظريات الألسنية[6] الحديثة، قال أركون[7]: "من الملح والعاجل–من وجهة نظر التاريخ العام للفكر– أن نطبق على دراسة الإسلام المنهجيات والإشكاليات الجديدة"[8].

7–تعلق خصوم الصحيحين بنقد بعض الأئمة المحدثين للصحيحين:

اتكأ خصوم السنة النبوية على بعض الانتقادات الموجهة للصحيحين من طرف أئمة محدثين

---

[1]–انظر: دين السلطان، نيازي عز الدين، ص110.

[2]–الفكر الإسلامي نقد واجتهاد،محمد أركون، ص102.

[3]–نقد النص، علي حرب، ص11.

[4]–علي حرب: مفكر لبناني معاصر، له العديد من المؤلفات، منها: نقد النص، الحب والفناء، جدلية الأنا والآخر، ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، وغيرها.انظر: htt: //ar.wikipedia.org/wiki/.

[5]–نقد النص، مرجع سابق: ص12.

[6]–الألسنية:علم تطور اللغات البشرية، وعمليات الاتصال، على خلاف ماكان معهودا في السابق.انظر: المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطن في الصحيحين ، هامش الصفحة23.

[7]–محمد أركون: مفكر جزائري من مواليد1928بمنطقة القبائل،تلقى دراسته الثانوية في وهران،ثم أتم دراسته بباريس،وحصل على الدكتوراه من "السوربون"عام1969م حول الإنسانية العربية في القرن الرابع الهجري،وحاضر بالعديد من الجامعات الفرنسية والعربية،من مؤلفاته:محاولات في الفكر الإسلامي،قراءات في القرآن،وغيرها.انظر:نادي الفكر العربي http://www.nadyelfikr.com-

[8]–تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص61.

(سواء كانوا من المتقدمين أم من المتأخرين) فرددوها كثيرا واتخذوها ذريعة، ظانين أنها تسعفهم فيما افتروه من طعون في أهم دواوين السنة، وما أثاروه من تشكيك وشبهات حولهما.

أ-التعلق بنقد بعض المحدثين المعاصرين: مثل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني. قال الدكتور محمد حوى[1]: "طالما أكدت أن السنة حجة من مفكر جزائري من حيث المبدأ،إذا استوفى الحديث شروطه، وأن نقد أحاديث بعينها لن يكون مطعنا في السنة ولا في من قام بالنقد، وهذا الشيخ ناصر الألباني قد نقد عشرات الأحاديث في صحيح مسلم وشيئا يسيرا جدا في صحيح البخاري،فقد ضعف الشيخ ناصر رحمه الله، ما رواه مسلم عن طريق أبي الزبير المكي عن جابر بن عبد الله معنعنا (أي بصيغة (عن)-وهي 35 حديثا-لأن أبا الزبير مدلس إضافة إلى نحو خمسة عشر حديثا أخرى (ينظر تنبيه المسلم إلى تعدى الألباني على صحيح مسلم للباحث محمود سعيد ممدوح)، مع أني ها هنا أؤكد اعتراضي على منهج الباحث محمود سعيد في نقد كلام الشيخ ناصر وأسجل اعتراضي على عنوان الكتاب أساسا.لكن الشاهد أن انتقاد الألباني-أصاب أو أخطأ- لبعض ما في الصحيحين لم يجعله محل تهمة أبدا"[2].

والجواب على هذه الشبهة[3]:

-إن الاحتجاج بصنيع الشيخ من باب الاحتكام إلى الخصم، وكيف يكون ذلك، والشيخ معروف بنقض أدلة مخالفية من الصوفية والمذهبية؟

-إن الشيخ متخصص في علم الحديث والنقد، وجهوده في خدمة السنة شاهدة على ذلك، على عكس من يستشهد بصنيعه.

-على الرغم من كون الشيخ متخصصا في علم الحديث إلا أن جهده يبقى بشريا ولأهل الاختصاص أن يتعقبوا فيما يروا أنه أخطأ فيه، ويغتفر خطأه لأنه مجتهد في إطار تخصصه، فالمختص المؤهل يعذر بخلاف غيره.

---

[1]-محمد حوى: هو محمد سعيد حوى، ولد في حماة سنة 1965م، تلقى تعليمه الأول في سوريا، ونال درجة البكلوريوس عام 1989م، والماجستير عام 1991م، والدكتوراه عام 1996م، من أعماله: مقولات أبي داود النقدية في كتابه السنن، الراوي المجهول، التقليد في الأحكام الشرعية، وغيرها، شارك في العديد من الندوات والمؤتمرات.

-انظر: http://www.saidhawwa.com

[2]-انظر: http://www.ikhwan.net

[3]-شروط الناقد، ياسر الشمالي، ص5-6.

ب-التعلق بنقد بعض المحدثين السابقين، واتخاذ استدراكاتهم على الصحيحين سبيلا للطعن فيهما:

يقول إسماعيل الكردي[1] في معرض حديثه عن كتابه (نحو تفعيل قواعد المتن):"أتيت بهذا الكتاب الذي كانت معظم اقتباساته ونقوده التي تنقد البخاري ومسلما موجهة من الأئمة الأربعة، ومن تلاميذهم، وممن هم مرجع وثقة لهم بالذات، أي لتلك الفئة المتشبثة بالماضي".[2]

ويقول القنوبي[3]: أراني مضطرا لذكر كلام طائفة من العلماء من أصحاب المذاهب الأربعة، أو ممن يعترف الحشوية بآراءهم، ويكثرون من نقل كلامهم حول وجود بعض الأحاديث الضعيفة في الصحيحين أو أحدهما".[4]

ويقول جولد زيهر:"ومع أن الكتب الستّة لها قيمة عظيمة، فإنه لم يعتبر من النقائص في شيء أن يستباح نقد ما ورد فيها من الأحاديث نقدا حرا، تلك الأحاديث التي لم ينعقد الإجماع على صحتها، وإن كانت واردة في الكتب الصحاح، ولهذا نجد مثلا أن «الدارقطني» المتوفي سنة (385هـ-995م) صنف كتابا دلل فيه على ضعف مائتي حديث أوردها البخاري ومسلم"[5].

وفي الرد على هذا النص قال الشيخ أحمد شاكر:"هذا غير صحيح، فإن الدارقطني إنما علل أحاديث في الصحيحين: البخاري ومسلم، بأنهما خالفا فيها شرطهما، وهو اختيار أعلى درجات الصحة في الإسناد، أو بأن بعض أسانيد الحديث الذي ينقده أصبح في نظره من الإسناد الذي رواه به البخاري ومسلم، و لم يتفق المحدثون على ضعف أي حديث في هذين الكتابين، بل اتفقوا على أن البخاري ومسلما مقدمان على أهل عصرهما ومن بعدهم من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح

---

[1]-إسماعيل الكردي: كاتب سوري معاصر، من مواليد دمشق سنة 1964م، له اهتمام بالقضايا الشرعية، حاز على إجازة في اللغة العربية وآدابها، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة دمشق سنة 1986م، اشتهر بكتابه "نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث النبوي"، ويظهر من خلاله أن له توجّها عقلانيا. انظر:http://www.darawael.com.

[2]-نحو تفعيل قواعد المتن، ص8.

[3]-القنوبي: هو سعيد بن مبروك بن حمود القنوبي، ولد في بلدة الشارق، وهو الآن في العقد الرابع من عمره، ويعمل مستشارا علميا بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية، له كثير من المؤلفات منها: الإمام الربيع بن حبيب مكانته ومسنده، رسالة في بيان حجيّة خبر الآحاد، الطوفان الجارف وغيرها. انظر: http://ar.wikipedia.org

[4]-الطوفان الجارف، ج3، القسم الأول، ص59.

[5]-دائرة المعارف الإسلامية، إص1، ج7، ص343.

من غير الصحيح"[1].

-إن هؤلاء الأئمة بانتقادهم للصحيحين كان هدفهم خدمة السنة وصيانتها وتنقيتها وفق أسس علمية مبناها التضلع في علم العلل والرجال...، و لم يؤثَر عنهم موقف سلبي لا تجاه السنة، ولا تجاه الصحيحين أو صاحبيهما، أما هؤلاء المعاصرون، فإن هدفهم الأساس هو إسقاط حجية السنة، ونبذها، معتمدين على الأقوال المبتورة وعلى عقولهم المتذبذبة مع الجهل بمناهج المحدثين وعلم الحديث.

-انتقادات الأئمة جاءت في أمور غير مؤثرة على أصل الحديث، فالدار قطني مثلا أغلب نقده وجه للأسانيد دون المتون التي ثبت معناها من حديث آخر [2].كما أنه خرج بعضهم نقد الحافظ الدارقطني وغيره لأحاديث الصحيحين على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه، وأما صحة الحديث نفسه، فلم يخالف أحد فيها[3].

-و أجاب الحافظ ابن حجر عن الانتقادات الموجهة للصحيحين فيما يأتي:

أ-جواب مجمل: قال ابن حجر:"الجواب عنه على سبيل الإجمال أن نقول لا ريب في تقديم البخاري ثم مسلم على أهل عصرهما ومن بعده من أئمة هذا الفن في معرفة الصحيح والمعلل، فإنهم لا يختلفون أن علي بن المديني كان أعلم أقرانه بعلل الحديث وعنه أخذ البخاري ذلك...

وروى الفربري عن البخاري قال:"ما أدخلت في الصحيح حديثا إلا بعد أن استخرت الله تعالى، وتيقنت صحته، وقال مكي بن عبد الله: سمعت مسلم بن الحجاج يقول: عرضت كتابي هذا على أبي زرعة الرازي فكل ما أشار أن له علة تركته. فإذا عرف وتقرر أنهما لا يخرجان الحديث إلا ما لا علة له، أو له علة إلا أنها غير مؤثرة عندهما فبتقدير توجيه كلام من انتقد عليهما يكون قوله معارضا لتصحيحهما، ولا ريب في تقديمهما في ذلك على غيرهما فيندفع الاعتراض من حيث الجملة" [4].

ب- جواب مفصل: قسم الحافظ ابن حجر الأحاديث المنتقدة على الشيخين ستة أقسام

---

[1]-المصدر نفسه، ج7، ص343، وتعليق أحمد شاكر في هامش المادة المتعقب عليها من الصفحة نفسها.

[2]-انظر: هدي الساري، ص345

[3]-الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد شاكر، ص38.

[4]- هدي الساري، ص 506.

فذكرها وذكر الرد على كل قسم منها بإجمال وهي:

القسم الأول: ما تختلف الرواة فيه بالزيادة والنقص من رجال الإسناد:

فإذا أخرج صاحب الصحيح الطريق المزيدة وعلله الناقد بالطريق الناقصة فهو تعليل مردود كما صرح به الدارقطني، لأن الراوي إن كان سمعه فالزيادة لا تضر، لأنه قد يكون سمعه بواسطة عن شيخه ثم لقيه فسمعه منه، وإن كان لم يسمعه في الطريق الناقصة فهو منقطع والمنقطع من قسم الضعيف الذي لا يعل الصحيح.

وإن خرج صاحب الصحيح الناقصة وعلله الناقد بالطريق المزيدة، فينظر إن كان ذلك الراوي صحابيا أو ثقة غير مدلس قد أدرك من روى عنه، أو صرح بالسماع إن كان مدلسا من طريق أخرى، فإن وجد ذلك اندفع الاعتراض، وإن لم يوجد فمحصل الجواب: أنه إنما أخرج ذلك في باب ماله وعاضد، أو ما حفته قرينة خفية، ويكون التصحيح من حيث المجموع.

-وربما علل بعض النقاد أحاديث ادعي فيها الانقطاع، لكونها غير مسموعة كما في الأحاديث المروية بالمكاتبة والإجازة، وهذا لا يلزم منه الانقطاع عند من يسوغ ذلك بل فيه دليل على صحته عنده.

القسم الثاني: ما تختلف الرواة فيه بتغيير رجال بعض الإسناد فالجواب عنه إن أمكن الجمع، بأن يكون الحديث عند ذلك الراوي على الوجهين جميعا، فأخرجهما المصنف و لم يقتصر على أحدهما حيث يكون المختلفون في ذلك متعادلين في الحفظ والعدد، وإن كانوا متقاربين في الحفظ والعدد، فيخرج المصنف الطريق الراجحة، ويعرض عن الطريق المرجوحة، فالتعليل بجميع ذلك لمجرد الاختلاف غير قادح، إذ لا يلزم من مجرد الاختلاف اضطراب يوجب الضعف.

القسم الثالث: ما تفرد بعض الرواة بزيادة فيه، دون من هو أكثر عددا، أو أضبط ممن لم يذكرها، فهذا لا يؤثر التعليل به، إلا إذا كانت الزيادة منافية بحيث يتعذر الجمع، أما إن كانت الزيادة لا منافاة فيها فهي كالحديث المستقل، وإن كانت الزيادة مدرجة في المتن من كلام بعض رواته فهذا مؤثر.

القسم الرابع: ما تفرد به بعض الرواة ممن ضعف، وليس في الصحيح من هذا القبيل غير حديثين تبين أن كلا منهما قد توبع:

الحديث الأول:حديث أبي بن العباس بن مسهل بن سعد عن أبيه عن جده قال: كان للنبي فرس يقال له اللحيف[1].

الحديث الثاني:حديث إسماعيل بن أبي أويس عن مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر استعمل مولى له يدعى هنيا على الحمى أورده البخاري في كتاب الجهاد، باب إذا أسهم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم[2].

القسم الخامس: ما حكم فيه بالوهم على بعض رجاله، فمنه ما يؤثر ذلك الوهم قدحا، ومنه ما لا يؤثر.

القسم السادس: ما اختلف فيه بتغيير بعض ألفاظ المتن، فهذا أكثره لا يترتب عليه قدح لإمكان الجمع في المختلف من ذلك أو الترجيح

ثم قال بعد ذكره لهذه الأقسام:"فهذه جملة أقسام ما انتقده الأئمة على الصحيح، وقد حررتها، وحققتها، وقسمتها، وفصلناها لا يظهر منها ما يؤثر في أصل موضوع الكتاب-بحمد الله- إلا النادر"[3]

ويمكن تقسيم الأحاديث التي انتقدها الدارقطني في الصحيحين إلى ثلاثة أقسام:

الأول: القسم المتفق عليه، وهي الأحاديث التي أعلها الدارقطني وقد أشار البخاري أو مسلم إلى علتها بما يفهمه أهل المعرفة، وفي كثير منها يذكر الدارقطني الخلاف ولا يحكم بشيء.

الثاني: القسم الذي انتقده الدار قطني وترجح فيه قول الشيخين.

الثالث: القسم الذي انتقده الدارقطني ويترجح فيه قوله، ولو قيست أحاديث هذا القسم بمجموع أحاديث الصحيحين فإنها ضئيلة جدا لا تتجاوز نسبة 1% مما يؤكد صحة هذين الكتابين[4]

قال الشيخ شاكر: "الحق الذي لا مرية فيه عند أهل العلم بالحديث من المحققين ومن اهتدى

---

[1]- الصحيح، كتاب الجهاد، باب اسم الفرس والحمار، ح2855.

[2]- الصحيح مع الفتح كتاب، باب إذا أسهم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم، ح3058،ج6،ص606.

[3]-هدى الساري، ص345.

[4]-انظر: منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها، أبو بكر كافي، ص222-223.

بهديهم وتبعهم على بصيرة من الأمر: أن أحاديث الصحيحين صحيحة كلها ليس في واحد منها مطعن أو ضعف،وإنما انتقد الدارقطني وغيره من الحفاظ بعض الأحاديث على معنى أن ما انتقدوه لم يبلغ في الصحة الدرجة العليا التي التزمها كل واحد منهما في كتابه، و أما صحة الحديث في نفسه فلم يخالف أحد فيها فلا يهولنك إرجاف المرجفين، وزعم الزاعمين أن في الصحيحين أحاديث غير صحيحة..." [1].

[1]-الباعث الحثيث، ص33.

المطلب الثالث: أسباب تقصد الصحيحين بالطعن

تعرضت السنة النبوية متمثلة في علمائها، ومصنفاتهم، وجهودهم في تعليمها ونشرها لطعون الطاعنين وشبهات المغرضين منذ القديم، حتى العصر الحاضر، حيث اصطبغت هذه الطعون بصبغة عصرية تتناسب وثقافة العصر، وجاء التركيز فيها وبقوة على الصحيحين، دون باقي دواوين السنة، فما هو السبب في ذلك؟ وما هو هدف المغرضين من الطعن في الصحيحين؟هذا ما أحاول التطرق إليه فيما يأتي:

السبب الأول:كونهما أصح كتب الحديث:

يقول زكريا أوزون[1] – مبينا سبب اختياره لصحيح البخاري دون غيره في دراسته "جناية البخاري": "وقد تم انتقاء "صحيح البخاري" لمناقشة ومعالجة موضوع الحديث النبوي فيه، كونه أفضل وأصح كتب الحديث عند كثير من أئمة المسلمين، وزيادة على الدقة والحرص، فقد تمّ اعتماد الأحاديث التي اتفق عليها الشيخان بخاري[2] ومسلم..." [3] ويقول ابن قرناس[4] مبينا سبب اختياره لأحاديث البخاري في دراسته:"بما أن البخاري يعتبر عند غالبية المسلمين، أصح كتب الحديث_ولأن الأحاديث التي وردت فيه جاءت في كتب الأحاديث الأخرى بروايات مختلفة، ولأنه يستحيل أن نناقش كل الأحاديث المنسوبة للرسول_فقد اكتفينا بمناقشة بعض أحاديث البخاري، كممثل للأحاديث السنيّة"[5].

السبب الثاني:قدسية هذين الكتابين:

يقول زكريا أوزون: "إذا كان ما في "صحيح البخاري" محاطا بالهالة والقدسية فإن إعمال العقل، والتخلص من أوهام النقل، هو ما تم السعي إليه في هذا الكتاب، الذي جاءت أبحاثه مبسطة

---

[1]–زكريا أوزون:كاتب سوري علماني،غالب كتبه موجهة للطعن في الثوابت والأصول الإسلامية،منها:جناية سيبويه،جناية البخاري،الإسلام هل هو الحل...، وغيرها. انظر:http://www.safi info.com

[2] _هكذا في الأصل، والصواب تعريفها، أي: البخاري.

[3]–جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين، ص12.

[4]– ابن قرناس:مفكر من دولة البحرين، له مؤلفات منها:سنة الأولين،رسالة حول الخلافة وحكم الله، الحديث والقرآن، وغيرها. انظر: http:// ar.wikipedia.org

[5]–الحديث والقرآن، ص23.

مركزة، مباشرة وبعيدة عن التعقيد والتكرار والاستطراد، الذي اتصفت به معظم كتب التراث" [1]

و يقول عبد الجواد ياسين[2] "ولأن البخاري ومسلم يجبّان مادونهما من الكتب في مفهوم أهل السنة، فسوف نحاول التركيز على مروياتهما..." [3].

السبب الثالث: إجماع الأمة على تلقيهما بالقبول:

من خلال هذه النقول يتبين لنا سبب تركيز الطاعنين على الصحيحين دون ما سواهما من كتب الحديث، فاتفاق أهل العلم بالحديث على صحة ما فيهما، وإجماع الأمة على تقليهما بالقبول، وجعلهما في المرتبة الثانية للتشريع بعد كتاب الله تعالى، جعلهما محل تركيز وهدفا مباشرا للطاعنين في السنة، لأن إسقاط أحاديثهما —وهيهات أن يفعلوا- يكفيهم مؤنة الهجوم على باقي دواوين السنة.

ولكن أهل العلم متفطنون لدسائسهم الخبيثة، عالمون بها، واقفون في وجوه شبهاتهم بالدليل والبرهان القاطع، الذي لا يخالجه شك ولا ريب.

يقول الدكتور العجمي الدمنهوري:"إنّ هدم صحيح البخاري على اعتبار أنه أصح كتب السنة هو هدم للسنة المطهّرة كلها، وهو ما يقصده تماما من يدعون هذه الافتراءات".[4]

إذن أحاديث الصحيحين هدم لكل دواوين السنة، وهو الهدم للسنة كلية.

يقول الشيخ إبراهيم ملا خاطر: "ويجمع هؤلاء جميعا_والعلم عند الله_هدف واحد،وغاية واحدة_شعروا بذلك أم لا،ونفذوا مخططات غيرهم عن علم أو جهل_ورموا بقوس واحدة أصابوا أم أخطأوا -ذلك هو هدم السنة،والطعن فيها وتشويهها ومن ثم القضاء على المصدر الثاني للتشريع الإسلامي- وإن حلف بعضهم أن هذا ليس قصدا له،وإنما قصده فتح باب الاجتهاد، وإحياء

---

[1]-جناية البخاري، ص10.

[2]-عبد الجواد ياسين: قاضي مصري سابق، من مواليد عام 1954م، تخرج من كلية الحقوق في القاهرة سنة 1976م، وتدرج في سلك النيابة العامة والقضاء منذ تخرجه، له مؤلفات في الفكر السياسي، والفقه الدستوري، منها: تطور الفكر السياسي في مصر،خلال القران التاسع عشر.انظر غلاف كتابه: السلطة في الإسلام،العقل السلفي بين النص والتاريخ، التاريخ.

[3]-السلطة في الإسلام، ص292.

[4]-انظر: http://www.Islamway.com.

المناظرات،واستمرار الحوار"[1].

فإسقاط أهم مصدرين من مصادر السنة ودواوينها يعد تمهيدا لإسقاط السنة كلها، وإلغاء حجيتها، وجعل العقل والعلم والرأي،وغيرها مصدرا للتشريع وفقا لما يخدم اتجاهاتهم الفكرية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[1]- مكانة الصحيحين، ص302.

المطلب الرابع: آثار الطعن في الصحيحين

نجم عن طعون الطاعنين في الصحيحين وما أثاروه من شبهات وافتراءات حولهما، العديد من الآثار السلبية التي يترجع مرارتها كل من يحمل في قلبه الغيرة على الإسلام وسنة النبي صلى الله عليه وسلم،أذكر منها:

-رد الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة، بدعاوى شتى كمخالفة الأصول، والعقل، وظاهر القرآن، والحقائق العلمية...والهدف واحد، هو إسقاط السنة، ونبذ حجيتها.

-الطعن في الإسلام: اتفقت كلمة الباحثين في السنة[1] على أن المراد بالطعن في السنة وإثارة الشبهات حولها، إنما هو الطعن في الإسلام.

يقول الشيخ أبو شبهة –رحمه الله-:"وقد مني الإسلام من قديم الزمان بأعداء لا ينامون، ويضمرون له الكيد وينسجون الخيوط ويحيكون المؤامرات لذهاب دولته وسلطانه،وهؤلاء لما لم يتمكنوا من المجاهرة بالعداوة، لجأوا إلى الدسّ، والخديعة، واتبعوا في سبيل ذلك وسائل متعددة: فطورا عن طريق إظهار الحب والتودد لآل البيت، وطورا عن طريق التأويل في النصوص الدينية تأويلا لا يشهد له لغة ولا شرع، وقد حاول هؤلاء الأعداء أن يشككوا المسلمين في أساس دينهم، وهو القرآن الكريم....وكذلك حاولوا أن يشككوا المسلمين في الأصل الثاني وهو السنة النبوية، وقد اتخذوا للوصول إلى الغاية الدنيئة أساليب متعددة، فتارة عن طريق التشكيك في ثبوتها، وأنها أحادية وليست متواترة، وتارة أخرى عن طريق اختلاف الروايات التي تظهر الأحاديث بمظهر السطحية والسذاجة في التفكير ومخالفة الواقع المحسوس، أو العقل الصريح، والنقل الصحيح أو التجربة المسلّمة إلى غير ذلك من الأساليب..." [2].

-الطعن في الصحيحين وإنكار الإجماع على تلقيهما بالقبول: وحقيقته الطعن في إجماع الأمة التي عصمها الله من الاجتماع على الخطأ والضلال، فالصحيحان لا يمثلان جهد عالمين كبيرين فقط، بل أجمع عليهما جهابذة الحديث في عصر البخاري ومسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول والتسليم.

---

[1]- انظر: دفاع عن السنة النبوية، المقدمة، ص7، الأنوار الكاشفة 105-223 ، السنة ومكانتها في التشريع 188-497.

[2]- دفاع عن السنة النبوية، المقدمة، ص7.

-العزوف التام عن تعلم السنة والعمل بها.

-الاستهزاء بالسنة وبأصحابها، يقول الشيخ محمد الغزالي[1] –رحمه الله-:"إن ركاما من الأحاديث الضعيفة ملأ آفاق الثقافة الإسلامية بالغيوم، وركاما مثله من الأحاديث التي صحت وسطا التحريف على معناها، أو لابسها كل ذلك جعلها تنبو عن دلالات القرآن القريبة والبعيدة.

وقد كنت أزجر بعض الناس عن رواية الحديث الصحيح حي يكشفوا الوهم عن معناه ! إذا كان هذا المعنى موهما... "[2].

فهكذا توصف أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم بأنها ركام من المرويات، تحقيرا لشأنها، وتنفيرا منها، والأسوأ من ذلك أن يحذر الناس من روايتها وحملها، وأي زهد أعظم من هذا؟[3].

وهكذا يوصف المتمسكون بسنة النبي صلى الله عليه وسلم من طلبة علم وشيوخ بقلّة الفهم والإساءة إلى الدين؟.

يقول الغزالي –رحمه الله-:"السنة أصبحت كمتجر كبير للملابس وزعت فيه أنواعها على مختلف الجوانب، هنا أغطية للرأس، وهنا سراويل، وهنا قمصان، وهنا حلل سابغة...إلخ.

والطبيعي أن من يريد كسوة كاملة يمر بهذه الجوانب كلها ليأخذ ما يغطيه من رأسه إلى قدميه، ولكن يحدث كثيرا أن ترى من يشتري قلنسوتين و يخرج حافيا، أو من يشتري منديلا ويخرج عاريا.

إن هذا مثل طوائف اشتغلت بالسنة، ثم _بعد طول تطواف_، خرجت على الناس، وفي يديها من السنن سواك، وعمامة مقطوعة الذنب اعتبروها شعار الإسلام، وسر ذلك أنهم دخلوا المعرض الحافل ثم خرجوا منه بعد أن ظنوا الدين كله في حديث أو سنة محدودة، فأساؤوا بذلك إلى القرآن

---

[1]- محمد الغزالي (1971_1996م): ولد في قرية (نكلا العنب) بمحافظة البحيرة من مصر، التحق بكلية أصول الدين بعدما تخرج من المعهد الديني في جامعة الأزهر وتخصص في الدعوة، حصل على درجة التخصص في التدريس: درس في عدد من جامعات العالم الإسلامي، بدءا بجامعة الأزهر، ثم جامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى، وجامعة قطر، تولى منصب مدير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بالجزائر، من مؤلفاته:خلق المسلم، عقيدة المسلم، فقه السيرة، وغيرها.انظر: في حوار هادئ مع محمد الغزالي، سلمان العودة، ص5-6.

[2]-السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، ص119.

[3]-انظر: الأمين الصادق الأمين، موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية، ج2، ص190.

والسنة جميعا"[1].

-ليّ أعناق النصوص تحت ضغط الواقع، ومحاولة التوفيق بينها وبين المدنية الغربية، التي تخالف تعاليم الإسلام، مما يزيد أعداء الدين طغيانا وتجبرا يقول،حسن حنفي: "لا يوجد نص إلا ويمكن تأويله، ولا يعني التأويل هنا بالضرورة إخراج النص من معنى حقيقي إلى معنى مجازي لقرينة، بل هو وضع مضمون معاصر للنص، لأن النص قالب دون مضمون"[2].

فبدل أن يكون النص هو الحكم الفصل، وطريق الرشاد للعباد، أصبح الواقع والعصر هو الذي يتحكم في النص جيلا بعد جيل، كل جيل يفهمه وفق ما يماشي عصره !

-الإساءة إلى جنب الله عز وجل بإنكار كثير من صفاته الجليلة الثابتة في الأحاديث الصحيحة، وتسمية أهل السنة المثبتين لها بالمجسمة والمشبهة [3].

-الإساءة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بإثارة الشبهات حول ذاته الشريفة؛ كإدعائهم انشغاله بالنساء، واهتمامه بالدنيا والغنائم، واتباعه لهواه... [4].

-الإساءة إلى الصحابة الكرام؛ حملة دين الإسلام وحماته، من زكاهم الله في كتابه، وزكاهم النبي صلى الله عليه ولسم، وإثارة الشبهات والشكوك حول شخصياتهم الفذّة وجهودهم العظيمة في تبليغ رسالة الإسلام، كما أنهم رضي الله عنهم، لم يسلموا من الاستهزاء والغمز، وأكثر ما نالته سهام الطعون راوية الإسلام، أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه [5].

- التنكر للوحي، وذلك برد الكثير من العقائد الثابتة في السنة، أو تأويلها تأويلا يرضي عقول القوم وشهواتهم.

- إيجاد فجوة وجفوة بين سلف الأمة وخلفها، وإزالة الثقة بعلماء الأمة وأعلامها.

- قطع الصلة بتاريخ الإسلام المجيد، والاتجاه نحو تمجيد الشخصيات الغربية وتعظيمها والانقياد وراء دعواتها.

---

[1]-فقه السيرة، ص43.

[2]-من العقيدة إلى الثورة، ج1، ص397-398.

[3]-انظر: نحو تفعيل قواعد المتن، إسماعيل الكردي، ص161.

[4]-انظر: تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، ص67، العقيدة والشريعة في الإسلام، ص134-135.

[5]-ألفت كتب كثيرة: في الطعن فيها منها: أبو هريرة شيخ المضيرة لمحمود أبورية، وأبو هريرة لعبد الحسين شرف الدين.

-التخلي عن قيم الإسلام ومبادئه السمحة من طرف أبناء المسلمين، وبالمقابل غرس القيم الغربية في نفوسهم، والاتجاه نحو خدمة مصالح أعداء الدين.

-التشكيك في مناهج المحدثين وقواعدهم، والزعم بأن السنة لم تخدم خدمة صحيحة و لم تصفى من الدخيل، مما يثمر تشكيك المسلمين بمصادر الحديث ودواوين السنة، وزعزعة ثقتهم بها سيما الصحيحان.

-إعطاء الفرصة لأعداء الدين أن يسخروا منا، ويتمادوا في غيّهم، وحملتهم الشعواء على الإسلام، وفتح الباب على أدعياء العلم ليطعنوا في السنة.

-التوسع في القول بالرأي وسلطان العقل، وغلبة القول به في الدين، بدل النصوص الثابتة والصريحة في القرآن والسنة.

-ظهور الفوضى في فهم القرآن الكريم، إذا تخلى المسلمون عن أسباب النزول، وراحوا يفهمونه وفق أرضيتهم المعرفية والفكرية.

-إهمال فهوم الصحابة والتابعين لهذا الدين، بدعوى بعد فهمهم عن واقعنا، وبعد زمانهم عن زماننا، فلسنا ملزمين بفهومهم "لأنهم فهموا الإسلام حسب شروطهم وظروفهم، أفضل من فهمنا التاريخي للإسلام، وهو متفاعل مع ظروف القرن السابع في شبه جزيرة العرب"[1].

يقول محمد شحرور[2]: "إن الفرق بين الصحابة ساكني المدينة ومكة، وبين الأعراب في فهم حدود ما أنزل الله، هو أن الصحابة أكثر تحضرا من الأعراب، ولنا أن نذكر فرق التحضر بين الصحابة وبيننا بسبب العنصر الزمني، وهو فرق أكبر بكثير من ذلك الفرق، لذا فنحن مؤهلون الآن لفهم حدود ما أنزل الله على رسوله، أكثر بكثير من أهل القرن السابع الميلادي"[3].

-شيوع الفوضى في المجتمع، نتيجة رد الكثير من الأحاديث النبوية، التي جاءت لتنظيم حياة

---

[1]-الكتاب والقرآن "قراءة معاصرة"، محمد شحرور، ص566.

[2]-محمد شحرور: كاتب سوري معاصر، من مواليد دمشق عام1938م، تلقى تعليمه في المراحل الأولى بدمشق، ثم سافر بعد الثانوية إلى الاتحاد السوفياتي لدراسة الهندسة المدنية، وبعد عودته إلى سوريا سافر إلى إيرلندا ليحصل على الكتوراه في الهندسة من الجامعة القومية بدبلن، من مؤلفاته: الإسلام والإيمان منظومة القيم، الدولة والمجتمع، الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، وغيرها. انظر: نظرات شرعية في فكر منحرف، سليمان الخراشي، ج3، ص191.

[3]-الكتاب والقرآن، مصدر سابق، ص472.

الفرد والمجتمع، وتوفير السكينة والاستقرار للمسلمين، كأحاديث قتل المرتد عن دينه، وأحاديث إقامة الحدّ على الزاني، والسارق، وشارب الخمر، والأحاديث التي تبين وظائف المرأة في المجتمع الإسلامي، وتدعو إلى الستر والعفاف...إلخ.

-تغليب الاتجاه المادي في تفسير الأحاديث النبوية، وإبطال مدلولاتها الحقيقة، والتعسف في فهمها وتفسيرها، وتحميلها ما لا تحتمل.

-المبالغة في اعتبار المقاصد، وتأويل نصوص السنة وفق ما يحقق المصالح الموافقة لروح العصر، بل ويصل الأمر إلى جعل المقاصد أساس الشرع، يقول الأستاذ محمد عابد الجابري[1]: "لاسبيل إلا باعتبار المقاصد والمصالح أساسا للتشريع"[2].

فبدل أن تكون النصوص الشرعية التي جاءت لتحقيق مصالح العباد في الدارين هي الأساس في حياة العباد، أصبحت المصالح الموافقة لروح وأهواء الأفراد هي الحكم.

قال الشاطبي –رحمه الله-:" إن المصالح التي تقوم بها أحوال العبد لا يعرفها حق معرفتها إلا خالقها وواضعها، وليس للعبد بها علم إلا من بعض الوجوه، والذي يخفي عليه منها أكثر من الذي يبدو له، فقد يكون ساعيا في مصلحة نفسه من وجهة لا يوصله إليها، أو يوصله إليها عاجلا لا آجلا، أو يوصله إليها ناقصة لا كاملة، أو يكون فيها مفسدة تربي في الموازنة على المصلحة،، فلا يقوم خيرها بشرها، وكم من مدبر أمرا لا يتم له على كماله أصلا، ولا يجني منه ثمرة أصلا، وهو معلوم مشاهد بين العقلاء، فلهذا بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، فإذا كان كذلك، ،فالرجوع إلى الوجه الذي وضعه الشارع رجوع إلى وجه حصول المصلحة والتخفيف على الكمال، بخلاف الرجوع إلى ما خالفه، وهذه المسألة بالجملة فرع من فروع موافقة قصد الشارع أو مخالفته"[3]

بل ووصل الأمر إلى جعل المقاصد أساس الحكم على المرويات، وطرح جهود المحدثين وعلماء الأمة جانبا.

---

[1]-محمد عابد الجابري: ولد بالمغرب سنة 1936م، تحصل على دبلوم في الدراسات العليا في الفلسفة عام 1967م، وعلى دكتوراه الدولة في الفلسفة عام 1970م بالرباط، له العديد من المؤلفات، منها: مدخل إلى فلسفة العلوم جزءان، طبع عام 1976م، نحن والتراث، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات 1991م، وغيرها، انظر غلاف كتابه: وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر.

[2]-وجهة نظر نحو إعادة بناء قضايا الفكر العربي المعاصر، ص61.

[3]-الموافقات، ج1، ص538.

يقول الأستاذ راشد الغنوشي[1]:"ونصوص الأخبار يحكم على صحتها أو ضعفها، لا بحسب منهج المحدثين في تحقيق الروايات، وإنما بحسب موافقتها أو مخالفتها للمقاصد".[2]

-الدعوة إلى التسامح مع الكفار، والحوار والتقارب معهم، نتيجة ردّ أو تأويل الأحاديث التي تدعو إلى عدم موالاتهم، فهذا الشيخ الغزالي –رحمه الله- يتحدث عن زعيم الأقباط في مصر، وكأنه وليّ حميم، يقول: "وقد كنت أريد أن أتجاهل ما صنع الأخ العزيز "شنودة" الرئيس الديني لإخواننا الأقباط غير أني وجدت عددا من توجيهاته قد أخذ طريقه إلى الحياة العملية"[3] وبالمقابل يذم أهل السنة، ولا يضيع فرصة وجدها إلا وغمزهم وأزرى بهم.

يقول في (مستقبل الإسلام): "هناك من يحارب القباب والأضرحة في أمريكا، وهناك من يرى وضع اللثام على الوجه، وهناك من يجعل شارة الإسلام الجلباب الأبيض، كأننا في صحراء نجد، وهناك من حلق رأسه وشاربه بالموس وأطلق شعر لحيته على نحو يشعرك بأن كل شعرة أعلنت حربا على جارتها فهناك امتداد وتنافر يثيران الدهشة، قلت في نفسي لم يبق إلا أن يحلق حاجبيه بالموس هي الأخرى لتكتمل الدمامة في وجهه، ولم أر مساءلته لم فعل ذلك؟ لأني أعلم إجابته سيقول هذه هي السنة" [4].

إذن فمن يلتزم تعاليم الكتاب والسنة صار محلّ سخرية وازدراء، أما الكافر بالله عزوجل فهو الأخ الحميم الذي لابد من مداراته، والتماس الأعذار له!

– تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية: ومعناه تقسيم السنة إلى ما يفيد شرعا يلزم اتباعه مما بعث به صلى الله عليه وسلم وما لا يفيد شرعا فلا يلزم اتباعه، مما هو متعلق بأفعاله الجبلية، واجتهاداته صلى الله عليه وسلم في أمور الدنيا وتدابيرها، لا من باب كونه مبلغا عن الله عزوجل.

---

[1]-راشد الغنوشي: باحث ومفكر إسلامي تونسي، ولد بمدينة "الحامة" بولاية قايس بالجنوب الشرقي لتونس سنة 1939م، درس في دمشق، وأتم دراسته العليا في "الفلسفة والتربية" في فرنسا، مؤسس حزب النهضة بتونس سنة 1969م، له مؤلفات منها: المرأة المسلمة في تونس بين توجيهات القرآن وواقع المجتمع التونسي، حركة الاتجاه الإسلامي والحريات العامة في الدولة الإسلامية في تونس، كان مقيما بلندن، وعاد إلى تونس بعد سقوط النظام الحاكم سنة 2011م. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ج1، ص218، نظرات شرعية في فكر منحرف، ج2، ص1273_1275.

[2]-منهج التيسير المعاصر،عبد الله بن إبراهيم الطويل، ص239.

[3]-قذائف الحق، ص24.

[4]-مستقبل الإسلام، ص28.

وممن قال بهذا التقسيم: الشاه ولي العهد الدهلوي[1][2]،ومحمد رشيد رضا[3]، ومحمود شلتوت[4][5]، و محمود أبو رية[6]، و محمد عمارة [7][8] ، وإسماعيل الكردي[9]،وآخرين من دعاة دعاة التجديد الديني.

وهذا التقسيم حادث لا عهد للسلف به، يقول الشيخ موسى شاهين لاشين : "هذه القضية السنة كلها تشريع، لم يخالف فيها أحد من علماء المسلمين في أربعة عشر قرنا مضت، و لم نسمع و لم نعلم أن واحدا من علماء المسلمين قسم السنة (أي الحديث) إلى تشريع وإلى غير تشريع..." [10]

والذين ذهبوا إلى هذا التقسيم، ظنوا بأن التشريع محصور في الإلزام بالفعل، أو الكف عنه، فأخرجوا الإباحة من دائرة التشريع، والحق أن مفهوم التشريع عند العلماء أوسع من هذا بل هو "الحكم الشرعي لكل فعل من أفعال المكلفين سواء كان الحكم هو الوجوب، أم الحرمة، أم الندب، أم الكراهة، أم الإباحة"[11].

---

[1]-هو أحمد بن عبد الرحيم العمري شاه ولي الله الهندي الحنفي، ولد سنة 1114هـ1699م، فقيه حنفي محدث، أحيا الله به وبجهوده الحديث والسنة بالهند، توفي سنة 1179هـ وقيل سنة 1176هـ، من آثاره حجة الله البالغة، تأويل الأحاديث فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير، وغيرها، انظر: هدية العارفين، إسماعيل باشا البغدادي، ج1، ص177. الأعلام، للزركلي، ج1، ص149.

[2]-حجة الله البالغة، شاه ولي الله الدهلوي، ج1، ص223-224.

[3]-انظر: المنار، ج9، ص858، 859.

[4]-محمود شلتوت: فقيه مصري، ومفسر كبير، ولد في منية بالبحيرة، وتخرج من الأزهر سنة 1918م، من مؤلفاته القرآن والقتال، الإسلام عقيدة وشريعة، وغيرها.انظر: مجلة مجمع اللغة العربية ،بالقاهرة،ج19،ص147_153. انظر:الإسلام عقيدة وشريعة،محمود شلتوت، ص499

[5]-انظر: المنار، مصدر سابق ، ج9، ص858، 859.

[6]-انظر: أضواء على السنة المحمدية، محمود أبو رية، ص15.

[7]-محمد عمارة: مفكر وكاتب مصري ولد في مصر سنة 1931م، نال درجة الدكتوراه بأطروحة (الإسلام وفلسفة الحكم، سنة1975م، يشتغل عضوا في المعهد العالي للفكر الإسلامي. انظر: آخر كتابه: الإسلام والأقليات، الماضي والحاضر والمستقبل، ص59-60.

[8]-انظر:معالم المنهج الإسلامي، محمد عمارة، ص113-120.

[9]-انظر:نحو تفعيل قواعد متن الحديث، إسماعيل الكردي ، ص26-36.

[10]-السنة كلها تشريع، موسى شاهين لاشين، ص58.

[11]-السنة كلها تشريع، مرجع سابق، ص54.

فالمباح داخل في مسمى الحكم الشرعي، لأنه ثابت بإقرار الله عز و جل، ورفع الإثم عن فاعله أو تاركه لا بمجرد هوى المكلف، فأفعاله صلى الله عليه وسلم الجبلية، واجتهاداته في أمور الدنيا كلها تشريع، لأن أقل ما تدل عليه الإباحة، قال شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله: " كل ما قاله بعد النبوة، وأقر عليه و لم ينسخ، فهو تشريع لكن التشريع يتضمن الإيجاب، والتحريم، والإباحة، ويدخل في ذلك ما دل عليه من المنافع في الطب؛ فإنه يتضمن إباحة ذلك الدواء والانتفاع به، فهو شرع لإباحته وقد يكون شرعا لاستحبابه...والمقصود أن جميع أقواله يستفاد منها شرعا"[1].
شرعا"[1].

وقد نجم عن هذا القول -أي تقسيم السنة إلى تشريعية وغير تشريعية- رد الكثير من السنن وطرحها، وفتح الباب أمام أدعياء العلم وأعداء السنة للطعن فيها، وبث الشكوك في نفوس المسلمين اتجاهها، فأخرجوا من دائرة التشريع الكثير من الأحكام التي جاءت السنة وبينتها وهذبتها، كأحكام اللباس والأكل والشرب وآدابها، وما ينظم حياة الناس في تعاملاتهم، وتدبيرهم لأمور معاشهم، وفي هذا خطر كبير على الشرع يجعل المسلمين يعيشون بلا ضابط يحكم حياتهم، ويقصروا دور السنة على ما يتعلق بعبادة الله فحسب، أما باقي مناحي الحياة فيعيشون فيها هملا، أو يبحثون عما ينظمها ، وبخروجهم وابتعادهم عن حياض السنة؛ لابد أن يكون منهج وطريقة الغربيين أعداء الإسلام هو البديل.

[1]-مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ج18، ص10-11.

المبحث الثاني:توظيف الشهرة في ردّ شبهات المعاصرين حول أحاديث الصحيحين

في هذا المبحث محاولة لإبراز شهرة أحاديث الصحيحين، وبيان مدى فاعلية الشهرة، ونجاعتها، وكونها أحد الأدلة الدامغة التي ترد ،وتدحض شبهات خصوم هذين الكتابين العظيمين وسنة النبي صلى الله عليه وسلم،و يتأكد هذا بعرض شبهة القوم بعدم شهرة أحاديث الصحيحين وهو ما اشتمل عليه المطلب الأول ، ودراسة نماذج تبطل هذه الشبهة من أساسها وهو موضوع المطلب الثاني.

المطلب الأول: عرض شبهة الطاعنين بعدم شهرة أحاديث الصحيحين

تبين في الفصل الأول أن شهرة الحديث وانتشاره كانت مقصدا مهما للشيخين في انتقاء أحاديث صحيحيهما، وأن هذه الشهرة برزت من خلال معالم متعددة، لكن بعض خصوم الصحيحين نتيجة جهلهم بمناهج المحدثين عموما، وبمنهج الشيخين –خصوصا- في الانتقاء، غفلوا عن هذه الحقيقة، وادّعوا أن أحاديث الصحيحين ليست مشهورة وأن غالبها من قسم الغريب، فراحوا يطعنون فيها بادعاء أن بعضها موضوع أو ضعيف، وأن البعض الآخر مخالف لحقائق العلم ومجانب للعقل السليم...إلخ، وغيرها من الشبهات المثارة حول أصح وأهم دواوين السنة.

يقول إسماعيل الكردي: "والغالبية العظمى من الأحاديث المروية في كتب الحديث، ومن جملتها أحاديث صحيحي البخاري ومسلم: أحاديث آحاد، وكثير منها من نوع الغريب أيضا على اختلاف في درجة الغرابة، وقليل منها من العزيز والمشهور..."[1].

ويقول عبد الجواد ياسين:"عملية جمع الحديث وتدوينه لم تكتف بالمتواتر المستفيض والمشهور الشائع كما كان ينبغي، بل راحت تفتش عن كل خبر تشتم فيه رائحة النسبة إلى النبي "[2].

وفي هذا المبحث إبطال لهذه الشبهة، وبيان لشهرة الأحاديث المطعون فيها، وتوظيف الشهرة في ردّ شبهات خصوم الصحيحين.

---

[1]–نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث، ص39.

[2]–السلطة في الإسلام، العقل الفقهي السلفي بين النص والتاريخ، ص237.

المطلب الثاني: دراسة نماذج لإبطال شبهة عدم شهرة أحاديث الصحيحين

لقد اخترت للدراسة أحاديث طعن فيها خصوم الصحيحين من مستشرقين أعداء السنة النبوية، وأعداء دين الإسلام، وبعض من انتسب للإسلام في الظاهر وولاءه في الباطن للغرب الكافر.

أولا: حديث جبريل في بيان الإيمان والإسلام والإحسان

نص الحديث:

قال الإمام البخاري -رحمه الله-: حدثنا مسدد قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال:"كان النبي صلى الله عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال: ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان، في خمس لا يعلمهن إلا الله. ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:الآية 34]، ثم أدبر.فقال: ردوه، فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم، قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان". [1]

وقال البخاري_رحمه الله_: حدثني إسحاق عن جرير عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة _رضي الله عنه_" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به، وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن

[1]-الصحيح (مع الفتح)، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان، ج1، ص152-153.

تراه فإنه يراك. قال: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ ﴾ [لقمان: الآية 34]، ثم انصرف الرجل.فقال: ردّوا عليّ، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم"[1].

وقال الإمام مسلم –رحمه الله–: حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحي بن يعمر وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري وهذا حديثه حدثنا أبي حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحي بن يعمر قال:"كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجُهني فانطلقت أنا وحُميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا:لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرؤون القرآن ويتقفّرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر و أن الأمر أنُف، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم بُرآء منّي، والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أُحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر، ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفّيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدّقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورُسله واليوم الآخر وتؤمن بالقضاء والقدر خيره وشرّه، قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال:أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن

---

[1]–الصحيح (مح الفتح)، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:الآية 34]، ج8،ص652، ح4777.

الساعة، قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: أن تلد الأمة ربّتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان، قال: ثم انطلق فلبث مليّا ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"[1].

وقال الإمام مسلم –رحمه الله-:

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعا عن ابن علية قال زهير حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس، إذ أتاه رجل يمشي فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته، وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث الآخر، قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان، قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها فذاك من أشراطها، وإذا كان العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها، وإذا تطاول رعاء البُهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[لقمان:الآية 34]، ثم أدبر الرجل.فقال صلى الله عليه وسلم: ردّوا عليّ، فأخذوا ليردّوه فلم يروا شيئا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم". [2]

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشير حدثنا أبو حيان التيمي، بهذا الإسناد مثله غير أن في روايته: إذا ولدت الأمة بعلها يعني السراري. [3]

---

[1]-الصحيح (مع الفتح)، كتاب التفسير، باب ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [لقمان:الآية 34]، ج8،ص652، ح4777.

[2]-الصحيح (بشرح النووي)، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، ج8، ص160-161.

[3]-الصحيح (بشرح النووي)، الكتاب والباب نفسهما، ج1، ص161-164.

طعن المستشرق شاخت في هذا الحديث:

قال شاخت:"وهناك حديث من الأحاديث التي تذم التسّري[1]، ظل إلى زمن البخاري (إيمان، باب 37-عتق، باب 8، مسلم، إيمان، حديث 1-5-7)، وهذا الحديث لاشك أن خصوم العباسيين هم الذين وضعوه، ثم حرّف عن معناه"[2].

ومعنى كلامه أن هذا الحديث (حديث جبريل) حديث مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم من وضع خصوم العباسيين، لكنه ظل رائجا بين المحدثين سواء عن جهل أو عن قصد حتى زمن الشيخين اللذين أورداه في صحيحيهما رغم كونه موضوعا، وهكذا أطبقت الأمة الإسلامية على روايته حتى جاء شاخت وكشف حقيقته.

الرد على شبهة شاخت:

إن هذا الحديث مشهور ومستفيض، وببيان وجه شهرته يتم نقض شبهة شاخت من أساسها فأقول:

أولا: الحديث مروي في الصحيحين بعدّة أسانيد، وهما أصح دواوين السنة، تلقتهما الأمة بالقبول والتسليم، ونالا مالم ينله كتاب قبلهما أو بعدهما (بعد القرآن الكريم) من الدراسة والعناية، وحتى انتقاد بعض أحاديثهما، فكيف يكون فيهما حديث موضوع وتغفل عنه الأمة جمعاء، ثم إن أحاديث الصحيحين أغلبها رويت في الدواوين المصنفة قبلهما، فالحجة ليست في الصحيحين وإنما في إجماع أهل العلم على أحاديثهما، أي أن أحاديثهما لم تكتسب قوتها من مجرد رواية الشيخين لها (وهما أهل لذلك) بل اكتسبتها من كونها مشهورة بين العلماء، اتفقوا على صحة نسبتها للنبي صلى الله عليه وسلم قبل عصر الشيخين، لأنها مستفيضة بين علماء الصحابة وأتباعهم في الحجاز والعراق ومصر والشام وبأسانيد صحيحة، وقد ردّ الشيخ أحمد شاكر على شبهة شاخت ببيان شهرة هذا الحديث واستفاضته من خلال هذه المعالم أي:

1-كون الحديث مرويا في الصحيحين وهما أصح دواوين السنة.

---

[1]-هو اقتناء السراري، جمع سريّة، وهي الجارية المتخذة للوطء، انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص642.

[2]-دائرة المعارف الإسلامية، إص 1، ج2، ص642.

2-كون الحديث مستفيضا بين الصحابة وأتباعهم.

3-كون الحديث روي بأسانيد صحيحة.

فقال -رحمه الله-:"فإن الحديث الذي يجزم الكاتب بوضعه صحيح جدا، اتفق على روايته البخاري ومسلم في كتابيهما الصحيحين، وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم، وهما اللذان لا مطعن في صحة حديث من أحاديثهما عند العارفين من أهل العلم، وقد رواه غيرهما أيضا بأسانيد صحيحة، وهو حديث سؤال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم عن أمور الإسلام والإيمان وعن أشراط الساعة، وفيه أن من أشراطها: «أن تلد الأمة ربتها»، أي تلد المملوكة سيدها، وفي شرح هذا الحديث كلام طويل، والحديث معروف لأكثر المسلمين، فقد رواه البخاري، (ج1ن ص105-115، فتح الباري، طبعة بلاق)، ومسلم (ج1، ص18-طبعة بلاق)، من حديث أبي هريرة.

ورواه مسلم أيضا (ج1، ص67-68)، من حديث عمر بن الخطاب[1]، نقله النووي من حديث عمر في الأربعين النووية، وهو الحديث الثاني منها، وعن ذلك اشتهر عند الكافة حتى العوام.

وحديث أبي هريرة رواه البخاري أيضا في مواضع أخرى من صحيحه، ورواه أيضا ابن ماجة[2]، ورواه أبو داود[3] والنسائي[4] من حديث أبي ذر وأبي هريرة، وحديث عمر رواه أيضا أبو داود والترمذي[5] والنسائي وابن ماجة، وأبو عوانة[6] وابن خزيمة[1] في صحيحيهما.

---

[1]-روايات الحديث التي في الصحيحين تم تخريجها، ص96-98.

[2]-السنن، المقدمة، باب في الإيمان، ج1، ص24، من حديث عمر، وفي كتاب الفتن، باب أشراط الساعة، ج2، ص1342-1343، من حديث أبي هريرة .

[3]-السنن، كتاب السنة، باب في القدر، ج4، ص223-224، من حديث عمر، وفي الكتاب والباب نفسها، ص225، من حديث أبي هريرة.

[4]-السنن، كتاب الإيمان وشرائعه، باب نعت الإسلام، ج8، ص97، من حديث عمر، وفي باب ضفة الإيمان والإسلام، من الكتاب نفسه، ج8، ص101، من حديث أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما.

[5]-الجامع، أبواب الإيمان عن رسول الله، باب ما جاء في وصف جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم الإيمان والإسلام، ج4، ص119-120، من حديث عمر .

[6]-المسند، كتاب الإيمان، باب السنة في الداخل على الإمام إذا جلس للحكم أن يقف إذا انتهى إلى مجلسه حتى يأمره بالدنو أو الجلوس، ج4، ص193، من حديث عمر .

وكذلك الإمام أحمد في مسنده[2]، والطبراني [3].

وقد ورد الحديث أيضا من رواية أنس بن مالك، رواه البزار[4] بإسناد حسن.

ومن حديث جرير بن عبد الله البجلي، رواه أبو عوانة في صحيحه، ومن حديث ابن عباس، ومن حديث أبي عامر الأشعري، رواهما الإمام أحمد في مسنده. وانظر تفصيل الكلام على طرقه وأسانيده "في شرح العيني على البخاري" (ج1، ص283-284)، وفي "شرح الأربعين" لابن رجب (ص14-18)، وفي كثير من كتب السنة وشروحها، فهؤلاء الرواة الثقات والأئمة والصحابة، كلهم في نظر كاتب المقال كذابون وضاعون، لماذا؟ لأنه يعتقد أنهم خصوم للعباسيين"[5].

لقد اعتمد الشيخ أحمد شاكر في رد شبهة "شاخت" أساسا على بيان شهرة الحديث واستفاضته، فالحديث مروي في أصح دواوين السنة، وبأسانيد صحيحة عن أبي هريرة، وعن عمر،ومروي أيضا عن جمع من الصحابة...

والقول بوضعه يلزم منه اتهام أمة، وطبقات من الرواة كلهم بالتواطؤ على الكذب، وهذا باطل قطعا، لما عرف من جهود الصحابة في التثبت في الحديث، ومن جهود المحدثين في مكافحة الوضع في الحديث النبوي.

ثانيا: الحديث صحيح و رواته كلهم ثقات عدول، سواء في طبقة الصحابة، أو في طبقة التابعين، بل وأكثرهم من المشهورين بالعلم والرواية أحاديثهم مشهورة معروفة في كتب السنة، فلا يتصور أن يدخل عليهم حديث موضوع ويغفلوا عنه أو يتواطؤوا على كتمانه، ثم إن المستشرق لم يبين بالضبط آفة الحديث ومن أين بدأ وضعه، ومن هم الوضاعون فيه خصوم العباسيين، بل رمى بشبهته دون أي دليل علمي مما يفقدها قيمتها في ميزان النقد العلمي.

---

[1]-الصحيح، كتاب الزكاة، باب البيان أن إيتاء الزكاة من الإسلام بحكم الأمينين أمين السماء جبريل وأمين الأرض محمد صلى الله عليه وسلم، ج4، ص5، من حديث أبي هريرة.

[2]-المسند، ج1، ص317 من حديث عمر، وفي: ج9، ص113، من حديث أبي هريرة.

[3]-المعجم الكبير، ج12، ص430.

[4]-المسند، ج9، ص419-420، من حديث أبي ذر وأبي هريرة، وفي: ج11، ص111-112، من حديث ابن عباس، وفي ج12، ص334-334، من حديث أنس.

[5]-دائرة المعارف الإسلامية، إ ص 1، ج2، ص642-643.

ثالثا: ألفاظ الحديث ومعانيه تشهد لها النصوص الشرعية، من الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية الصحيحة، مما يدل على كونها معلومة لدى المسلمين وليس فيها أي شيء يثير الريبة أو الاستغراب.

رابعا: للحديث مكانة عظيمة عند علماء المسلمين، وصلت إلى أن عدوّه أصلا من أصول الإسلام لما اشتمل عليه من فوائد ودُرر وأخذوا جميعا بمعناه، و لم يعلم عن أحد منهم أنه غمزه.

قال ابن رجب:"ومن تأمل ما أشرنا إليه مما دلّ عليه هذا الحديث العظيم، علم أن جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته" [1].

أما من جهة المتن فالحديث لم يتكلم عن حكم التسري مطلقا، كما ادعى شاخت، بل هو إخبار عن علامات الساعة فقط.

قال بن حجر:"لا دليل فيه على جواز بيع أم الولد ولا عدمه"[2].

وفي هذا دليل واضح على جهل هذا المستشرق حتى بفهم معاني الكلام الواضح، فكيف به وهو يحشر نفسه في ميدان التصحيح والتضعيف، ويحكم على جهود أمة بالكذب والبطلان؟

---

[1]-جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ص62.

[2]-فتح الباري، ج5، ص203.

ثانيا: حديث كلام الرضيعين

نص الحديث:

قال الإمام البخاري –رحمه الله-: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا جرير بن حازم عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جريج، كان يصلي، جاءته أمه فدعته، فقال: أجيبها أو أصلي؟ فقالت: اللّهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات، وكان جريج في صومعته، فتعرضت له امرأة وكلمته، فأبى، فأتت راعيا فأمكنته من نفسها، فولدت غلاما، فقالت: من جريج، فأتوه فكسروا صومعته وأنزلوه وسبّوه، فتوضأ وصلى ثم أتى الغلام فقال: من أبوك يا غلام؟ قال: الراعي.

قالوا: نبني صومعتك من ذهب، قال: لا إلا من طين، وكانت امرأة ترضع ابنا لها من بني إسرائيل فمرّ بها رجل راكب ذو شارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله، فترك ثديها وأقبل على الراكب، فقال: اللهم لا تجعلني مثله، ثم أقبل على ثديها يمصه. قال أبو هريرة: كأني أنظر إلى النبي صلى الله عليه وسلم يمصّ إصبعه، ثم مر بأمَة، فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذا، فترك ثديها، فقال: اللهم اجعلني مثلها، فقالت: لم ذاك؟ فقال: الراكب جبار من الجبابرة وهذه الأمَة يقولون: سرقت، زنيت، و لم تفعل"[1].

طعن زكريا أوزون في هذا الحديث:

يقول أوزون:" الحديث يضيف –حسب أبي هريرة- إلى معجزة سيدنا عيسى عليه السلام في الذكر الحكيم معجزتين لرضيعين من بني إسرائيل تكلما وهما في المهد، وأن المعجزات ليست حكرا على الرسل والأنبياء فقط، وبابها مفتوح دائما للأولياء والصالحين، وإن خالف العلم والعقل"[2].

---

[1]-الصحيح (مع الفتح)، كتاب المظالم ،باب إذا هدم حائطا فليبن مثله، ح2350، ج5، ص127. وأخرجه مسلم في الصحيح(بشرح النووي)، في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها، ح2550، ج16، ص102.

[2]-جناية البخاري، ص

إن هذا الكلام من أوزون يوهم القراء بأن الحديث تفرد به أبو هريرة،فلم يروه أحد غيره، وأن الإمام البخاري بروايته لهذا الحديث في صحيحه أتى بأمر غريب، ألا وهو إثبات المعجزات لغير الأنبياء من البشر العاديين،وهو أمر يثير الشك لدى أمثال أوزون في هذا الحديث وفي الكتاب الذي روي فيه.

الردّ على شبهة زكريا أوزون ببيان شهرة الحديث واستفاضته.

الحديث مشهور مستفيض، و لم يتفرد به الصحابي الجليل، أبو هريرة وهذا شأن عامة أحاديثه –رضي الله عنه وأرضاه– تشهد لها روايات صحابة آخرين، لكن خصوم الصحيحين دائما يدندنون حول أحاديثه ويوهمون القراء بأنه تفرد بها، ناسين أو متناسين أن من يتصفح دواوين السنة يجد لكل أحاديثه شواهد من روايات أخرى.

والدليل على شهرة هذا الحديث أمور:

أولا: مارواه الإمام مسلم –رحمه الله– عن الصحابي صهيب_رضي الله عنه_ عن النبي صلى الله عليه وسلم، في قصة أصحاب الأخدود، وفيها أن امرأة جاءت تحمل صبيها فتقاعست أن تقع في النار، فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق [1].

فهذه القصة تشهد لقصة أبي هريرة بإمكانية تكلم الصبي الصغير بقدرة الله عزوجل. كما أن حديث أبي هريرة –رضي الله عنه– :

–رواه الإمام الطبراني من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه [2].

–ورواه الإمام أحمد في مسنده من حديث، ابن عباس رضي الله عنهما، مطولا بلفظ "تكلم أربعة وهم صغار: ابن ماشطة زوجة فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج، وعيسى بن مريم"[3].

فهذه الروايات الصحيحة لهؤلاء الصحابة الكرام، تشهد لرواية أبي هريرة، وأنه لم يتفرد بهذه

---

[1]–الصحيح(بشرح النووي)،كتاب، الزهد ، باب قصة أصحاب الأخدود ، ح3005 ، ج18، ص130.
–انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، ج8، ص266.

[2]–المعجم الأوسط، ج7، ص279، وقال عنه الهيثمي: إسناده حسن. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج8، ص266.
وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه،انظر: المستدرك على الصحيحين، ج2، ص538.

[3]–المسند، ج1، ص309.

القصة.

ثانيا: يشهد لهذا الحديث الواقع، فأمّة بني إسرائيل حصلت فيها العجائب الكثيرة، لا بنص الأحاديث الصحيحة فقط، بل بنص القرآن الكريم، في كثير من الآيات مثل قصة الرجل المقتول الذي أمرهم الله بذبح بقرة وضربه ببعضها، فلما فعلوا تكلم وأخبرهم من قتله.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[1] .

فكيف يستغرب أن يتكلم صبي في المهد بأمر الله تعالى؟

والله –عز وجل– ابتلى المؤمنين بالإيمان بالغيب، فمن كان يصدق الرسول –صلى الله عليه وسلم– صدقه في هذا الخبر وغيره .

ثالثا: أما ادعاء أوزون بأن كلام الرضيعين معجزة (كما يقول)، وأن المعجزات في صحيح البخاري لا تختص بالأنبياء بل تصل إلى الأولياء والصالحين، فباطل قطعا.

لأن المعجزة هي الفعل الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم من المعارضة[2].

وليس في الحديث ما يدل على أن كلام الرضيعين جاء للتحدي والإعجاز، فالمعجزة خاصة بالأنبياء لإثبات صدق نبوتهم، وما جاء في الحديث إنما هو كرامة من الله عزوجل لعباده الصالحين، الذين صدقوه في السرّ والعلن، فأجابهم حين دعوه، وأيدهم بنصره بما شاء.

فهذا الراهب جريج لما افترت عليه زانية، ورمته بالفاحشة، وحاولت إلصاق ولدها به، توضأ وصلى ودعا الله عزوجل، فأكرمه ونصره عليها، والآيات القرآنية ، فضلا عن الأحاديث الصحيحة، تشهد بنصر الله لعباده المؤمنين، وتأييده لهم بكراماته، مما هو أعجب من الحديث الذي استشكله أوزون.

---

[1]–سورة البقرة، الآية :72–73.

[2]–انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، ج2، ص43.

ثالثا: حديث الشفاعة

نص الحديث:

روى الإمام البخاري –رحمه الله– عن أبي هريرة ــرضي الله عنهــ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلحم فرفع إليه الذراع، وكانت تعجبه فنهش منها نهشة، ثم قال: "أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الهم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون"[1].

عرض شبهة زكريا أوزون حول هذا الحديث:

اعتبر زكريا أوزون هذا الحديث من جنايات البخاري في صحيحه، فقال عنه: "الحديث هنا يرافقه وصف رسول الله وهو ينهش اللحم بيده، ليخبر الصحابة بأنه سيد الناس يوم القيامة، علما بأنه ليس أفضل من موسى عليه السلام الذي لا يصعق –أو يصحو قلبه– يوم القيامة، أو يونس بن متى خير الناس على الإطلاق –حسب ما جاء في صحيح البخاري (كتاب الأنبياء)–.

والحديث يبين أن الله عز وجل غضب غضبا شديدا من آدم لأنه عصاه في الجنة، ومن إبراهيم لأنه كذب ثلاث مرات، ومن موسى لأنه قتل نفسا، وأما غضبه من عيسى فكان بدون أي سبب!، فقط لمجرد الغضب"[2].

معنى كلام زكريا أوزون أن النبي صلى الله عليه وسلم يخبر بأنه أفضل الناس، وهذا يتعارض مع حديث النفخ في الصور الذي يخرج فيه الناس للحساب، فيكون فيه موسى عليه السلام آخذا بأحد قوائم العرش، وهذا يدل على أن موسى أفضل من النبي محمد –عليهما الصلاة والسلام–.

---

[1]–الصحيح، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [نوح: 1]، رقم3162، وباب ﴿يَزِفُّونَ﴾ ، النسلان في المشي، ح 3182، وكتاب التفسير، باب: سورة بني إسرائيل، ح4435.

وأخرجه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها،ح194.

[2]–جناية البخاري، ص145.

كما أن الحديث يدل على أن الأنبياء_عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم_ اقترفوا ذنوبا جعلت الله يغضب منهم، فآدم عليه السلام عصاه في الجنة، وإبراهيم عليه السلام كذب ثلاث مرات، وموسى عليه السلام قتل نفسا، أما عيسى عليه السلام فالله عز وجل غضب منه دون أي سبب !

الرد على هذه الشبهات ببيان شهرة الحديث واستفاضته:

يمكن تفنيد شبهات زكريا أوزون حول هذا الحديث وردها وإبطالها من أساسها، ببيان استفاضة الحديث وانتشاره بين العلماء، مما يجعل الطعن فيه طعن في إجماع الأمة المعصومة من الخطإ.

وتبرز شهرة هذا الحديث في نقاط:

أولا: الحديث مشهور في طبقة الصحابة والتابعين، وليس من رواية أبي هريرة _رضي الله عنه_ فقط، كما يريد أوزون أن يوهم القراء، ومعلوم موقف خصوم الصحيحين من أبي هريرة، ودندنتهم حول أحاديثه، فهذا الحديث رواه من الصحابة أنس رضي الله عنه وروايته عند البخاري نفسه، فلماذا لم يذكرها أوزون وتغافل عنها؟ إنما أراد أوزون إيهام القراء بأن الحديث تفرد بروايته أبوهريرة_رضي الله عنه_ دون باقي الصحابة، الذي يفترض أنهم سمعوا وعلموا بهذا الحديث الذي جاء بأمر مهم.

حديث أنس -رضي الله عنه-:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا، فيأتون آدم..." [1].

ثانيا: موافقة القرآن لمعنى الحديث

من خلال المعنى الإجمالي للحديث، يتبين أنه موافق تماما لما دلت عليه الآيات القرآنية، وخاصة ما جاء من آيات تتحدث عن الشفاعة (مبحث الشفاعة)، وأن ألفاظ هذا الحديث ومعانيه قبلتها الأمة الإسلامية كما قبلت ما وافقها من الآيات القرآنية، إلا من غلب عليه عقله

---

[1]-الصحيح، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ ، [القيامة: 22-23]،ح 7002.

وجنى عليه.

ثالثا: الحديث الشريف تلقته الأمة الإسلامية بالقبول والتسليم،فاعتنى به العلماء من حيث تدريسه وشرحه ،ولم يعلم عن أحد منهم موقف سلبي تجاهه،وما كان من شغب حوله فهو ممن لا يعتد برأيه في ميزان البحث العلمي.

رابعا: الحديث مروي في أصح دواوين السنة،والصحيحان ليسا من اختراع الشيخين إنما هما جهد الأمة جمعاء، والطعن فيهما طعن في الأمة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

خلاصة الفصل:

وقفت طائفة من الناس موقفا سلبيا تجاه أصح دواوين السنة وأرفعها، ويمثل هذه الطائفة المستشرقون ومن تبعهم من حداثيين وعقلانيين، حكمتهم جملة من المنطلقات العقدية والفكرية، كانت سببا مباشرا لموقفهم السلبي تجاه السنة النبوية، فطعنوا في أصح دواوينها ورددوا شبهاتهم حولها.

وقد جاء التركيز وبشكل كبير على الصحيحين من قبل هؤلاء الخصوم، لأنّ هدمهما يعني هدم السنة بالكلية، وهذا أهم سهم يوجه للطعن في دين الإسلام، وقد نجم عن طعونهم آثار وخيمة.

وتبرز ثمرة هذا البحث في كونه لبنة للدفاع عن صرح السنة الشامخ، فبإبراز شهرة أحاديث الصحيحين يمكن رد وإبطال كثير من الشبه المثارة حول أحاديثهما، وإثبات أن طعونهم ليس لها أي مستند شرعي أو قيمة في ميزان البحث العلمي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخـاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله أولا وآخرا على نعمه الجزيلة، وعلى نعمة إتمام هذا البحث وفي هذه الخاتمة ذكر لأهم النتائج التي توصلت إليها:

1- الحديث المشهور هو الحديث المعروف عند الأئمة والمتداول بينهم.

2- اهتم المحدثون بالحديث المشهور تأصيلا وتطبيقا، وبالمقابل ذموا رواية الغرائب والانشغال بها.

3- يمثل الصحيحان ذروة الصناعة الحديثية، وهذا يرجع لإتقان صاحبيهما_البخاري ومسلم_ وبراعتهما، مع سلامة المعتقد، مما جعلهما يسلكان مسلكا دقيقا في منهج التأليف.

4- اعتنى الشيخان في صحيحهما بشهرة الحديث فبرزت كمقصد جليل ومهم عندهما في الانتقاء.

5- أهم معالم الشهرة عند الشيخين: مكانة الصحيحين ومدى عناية العلماء بهما، واعتماد الشيخين أشهر أسانيد أئمة الأمصار، واعتمادهما أصح الأسانيد ،واعتمادهما الأحاديث التي جرى بها العمل، وغيرها، وكل هذه المعالم تضافرت لإثبات صحة أحاديث هذين الكتابين ، وشهرتها.

6- إن من أنجع الوسائل في كشف زيف وبطلان شبهات خصوم السنة والصحيحين، الكشف عن مناهج المحدثين، والقواعد التي يعتمدونها في تعاملهم مع الأحاديث.

7- إن المنتقدين المعاصرين للصحيحين تحكمهم عدة منطلقات فكرية وعقدية، تمثل دافعا قويا لحملتهم الشرسة ضد السنة.

8- الحملة الاستشراقية ضد علوم الشرع عموما، وعلوم السنة خصوصا ما هي إلا امتداد للحقد الصليبي على الإسلام وأهله.

9- يلتقي المنتقدون المعاصرون للصحيحين في توجهاتهم العقدية و الفكرية كثيرا مع من كان موقفهم من السنة سلبيا من أصحاب الفرق العقائدية المبتدعة، وعلى رأسهم المعتزلة، وبالمقابل نجد الكثيرين من علمائنا لم يتأثروا بذلك ،بل وقفوا بسلاح العلم والحجة والبرهان ذابين عن حياض السنة، والصحيحين.

10- محاولة المنتقدين للصحيحين الاتكاء على بعض الأعمال النقدية للعلماء، وتوظيفها لضرب الصحيحين محاولة فاشلة، تفتقر إلى الموضوعية والعلمية.

11- أغلب المنتقدين للصحيحين غير مؤهلين علميا لقراءة الصحيحين فضلا عن انتقادهما.

12- ليست لدى خصوم الصحيحين حجج مقنعة تقبل النقاش العلمي الهادف، وإنما مجرد كتب ومقالات أشبه ما تكون بالموضوعات الإنشائية، يميزها بتر النصوص، والتكرار الممل، وكثرة التناقض، وعدم اتباع منهجية واضحة في التأليف.

13- إن سبب تركيز الطاعنين على الصحيحين واضح وجلي، وغرضه هدم السنة ودين الإسلام.

14- نجم عن انتقادات المعاصرين وطعونهم في الصحيحين عدة آثار سلبية على السنة عموما وعلى الصحيحين خصوصا.

15- من المعاصرين من ردد شبهة مفادها أن أحاديث الشيخين من قبيل الغريب لا المشهور، وأنهما عملا بخلاف ماكان ينبغي أن يفعلا ألا وهو اختيار الأحاديث المشهورة، و قد وقفت على نصين تضمنا هذه الشبهة، أحدهما: لعبد الجواد ياسين، والآخر لإسماعيل الكردي.

16- طعن المستشرق شاخت في حديث(الإسلام والإيمان والإحسان) طعن باطل ليس له قيمة علمية ، ترده وبقوة شهرة هذا الحديث واستفاضته.

17- طعن زكريا أوزون في حديث (كلام الرضيعين) طعن غير علمي، تشهد شهرة الحديث على بطلانه، وزيفه.

18- طعن زكريا أوزون في حديث (الشفاعة) باطل، ويمكن دحضه ببيان شهرة الحديث واستفاضته.

19- إن الاعتراض على الشيخين بدعوى أن أحاديثهما غير مشهورة، اعتراض غير سديد، ولا يصمد أمام المنهج العلمي، بل ويدل على خلو صاحبه من الأدوات المعرفية الصحيحة.

20- تظهر الشبهات المثارة حول الصحيحين قيمتهما العلمية، وعلوهما، ورفعة شأنهما،وأن كل محاولة للإطاحة بهما لاتزيدهما إلا قوة ومنعة.

توصيات البحث:

ـ العناية بالصحيحين تدريسا وتحفيظا، وصرف العناية في الجامعات والمدارس الشرعية، للدفاع عن مصادر السنة.

ـتكوين لجان متخصصة للدفاع عن الصحيحين ورصد الشبهات حولهما.

ـ الاهتمام بدراسات المستشرقين في السنة النبوية، ودراستها دراسة نقدية .

ـتخريج دفعات من طلبة الحديث في الجامعات والمعاهد الشرعية، متخصصة في السنة في الدراسات الحديثة والمعاصرة. والحمد لله رب العالمين.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهارس البحث:

فهرس الآيات القرآنية
فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
فهرس الأعلام المترجم لهم
فهرس المصادر والمراجع
فهرس الموضوعات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سور البقرة		
﴿ الٓمٓ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبۛ فِيهِۛ .....وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	3-1	63
﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ ..... ﴾	120	58
﴿ وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا ... ﴾	73_72	105
سورة النساء		
﴿ وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ ... ﴾	140	4
سورة الأنعام		
﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ ... ﴾	68	4
سورة الحجر		
﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ ... ﴾	9	73
سورة لقمان		
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾	34	98
سورة فاطر		
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ ... ﴾	10	62
سورة التحريم		
﴿ وَإِذۡ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعۡضِ أَزۡوَٰجِهِۦ حَدِيثٗا ..... ﴾	3	2

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
"إن الشيطان يجري من الإنسان..."	64
"أن امرأة جاءت..."	104
"أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بلحم..."	106
"إن من الشجرة شجرة لا يسقط ورقها... "	4
"أنا سيد الناس يوم القيامة..."	111
"بينما نحن جلوس..."	
"تكلم أربعة وهم صغار..."	104
"كان النبي صلى الله عليه وسلم..."	53
"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بارزا للناس..."	98
"كنا نجمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم..."	43
"لم يتكلم في المهد..."	103
"مفتاح الصلاة الطهور..."	9
"يحبس المؤمنون يوم القيامة..."	107

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام المترجم لهم:

اسم العلم	الصفحة
إجناس جولد زيهر	76
أحمد أمين	59
أحمد سيد خان	63
إسماعيل الكردي	79
جمال البنا	74
جوزيف شاخت	75
حسن حنفي	65
خالد منتصر	74
راشد الغنوشي	92
رودي بارت	58
زكريا أوزون	84
زهدي جار الله	59
سامر إسلامبولي	71
سعيد القنوبي	79
شاه ولي الله الدهلوي	93
عبد الجواد ياسين	85
علي حرب	77
ابن قرناس	84
كايتـــــاني	75
ليوبولد فايس	57

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محمد أركون	77
محمد الغزالي	88
محمد حوى	78
محمد رشيد رضا	64
محمد شحرور	90
محمد عابد الجابري	91
محمد عبده	64
محمد عمارة	93
محمود أبورية	60
محمود شلتوت	93

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر والمراجع

1. الاتجاهات العقلانية الحديثة: ناصر عبد الكريم العقل، دار الفضيلة الرياض، ط1، 1422هـ-2001م.
2. الاتجاهات الفقهيّة عند أصحاب الحديث: عبد المجيد محمود عبد المجيد، عمان، دار الفكر، ط1، 1428هـ، 2008م.
3. أدب الإملاء والاستملاء: محمد بن منصور السمعاني، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1409هـ-1989م.
4. الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري: محمود حمدي زقزوق، دار المعارف، القاهرة، 1997م.
5. الاستشراق والغارة على الفكر الإسلامي: محمد عبد الله الشرقاوي، دار الهداية، القاهرة، د.ط، 1989م.
6. الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر: عدنان محمد وزان، د.ط، د.ت.
7. أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية، دار المعارف، القاهرة، ط3، د.ت.
8. أضواء على السنة المحمدية: محمود أبو رية، دار المعارف، مصر، ط6، د.ت.
9. الاعتصام: الشاطبي، تعريف: محمد رشيد رضا، المكتبة التجارية الكبرى بمصر، د.ط، د.ت.
10. إعلال الحديث الغريب بالحديث المشهور: سعيد محمد حمد المري، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 1431هـ-2010م.
11. الأعلام لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط15، 2002م.
12. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده: جمعها وحققها: محمد عمارة، المؤسسة العربية للدراسات، بيروت، ط1، 1972م.
13. الاقتراح في بيان الاصطلاح: ابن دقيق العيد محمد بن علي، ت: عامر حسين صبري، دار البشائر، بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.
14. الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة: عبد الرحمن يحي

المعلمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1405هـ،1985م.

15.إيجاز التعريف في علم التصريف: محمد بن مالك، ت: محمد المهدي عبد الحي سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية، ط1، 1422هـ-2002م.

16.الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403هـ، 1983م.

17.تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، ط1، 1412هـ2001م.

18.تاريخ الشعوب الإسلامية: كارل بروكلمان، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت، ط6، د.ت.

19.التبصرة والتذكرة (شرح العراقي على ألفيته في الحديث): زين الدين عبد الرحمن بن الحسين العراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1354.

20.التجديد في الفكر الإسلامي: عدنان محمد أمامة، دار ابن الجوزي، الدمام، ط1، 1424هـ.

21.تدريب الراوي في شرح تقريب النووي: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الكوثر، الرياض، ط2، 1415هـ.

22.تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، محمد بن مطر الزهراني، مكتبة المنهاج، الرياض،ط1426،1ه.

23.تذكرة الحفاظ: محمد بن أحمد الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1419هـ-1998م.

24.تفسير المنار: محمد رشيد رضا، دار المنار، مصر، ط2، 1366هـ-1947م.

25.تهذيب الأسماء واللغات: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، قوبل على غير نسخة، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ب.

26.تهذيب الأسماء واللغات: محيي الدين النووي، تصحيح إدارة الطباعة المنيرية، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

27.تهذيب التهذيب:أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، اعتناء: إبراهيم الزيبق، وعادل

مرشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ب.

28.تهذيب اللغة: أبو منصور محمد الأزهري، تحقيق: أحمد عبد الرحمن مخيمر، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1425هـ-2004م.

29.توجيه النظر إلى أصول الأثر: طاهر الجزائري،تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416هـ-1995م.

30.ثلاث رسائل في علم مصطلح االحديث: رسالة الإمام أبي داود السجستاني إلى اهل مكة في وصف سننه، وشروط الأئمة الستة لأبي الفضل محمد بن طاهر المقدسي، وشروط الأئمة الخمسة لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي، بعناية: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1426هـ2005م.

31.جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديث من جوامع الكلم: ابن رجب الحنبلي، ت: بشار عواد معروف، دار الجيل بيروت، ط1، 1417هـ-1996م.

32.جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن البغدادي، دار الجوزي، الدمام، ط4، 1423هـ.

33.الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407-1987م.

34.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد الخطيب البغدادي، مكتبة المعارف، الرياض، 1403هـ1983م.

35.الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: أبوبكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: محمد عجاج الخطيب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1416،3هـ-1996م.

36.جناية البخاري، إنقاذ الدين من إمام المحدثين: زكريا أوزون، رياض الريس للكتب، د.ب، ط1، يناير، 2004م.

37.جناية قبيلة حدثنا: جمال البنا، دار الكر الإسلامي، القاهرة، مصر، د.ت.ط.

38.الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط1، 1414هـ.

39.حجة الله البالغة: أحمد بن عبد الرحيم " الشاه ولي الله الدهلوي"، تحقيق: سيد سابق، دار الجيل، بيروت، ط1، 1426هـ2005م.

40.الحديث والقرآن: ابن قرناس، منشورات الجمل كولونيا، ألمانيا، بغداد، ط1، 2008م.

41.حوار هادئ مع محمد الغزالي: سلمان بن فهد العودة، ط1، 1409هـ.

42.دائرة المعارف الإسلامية (الإصدار الأول): مجموعة من المستشرقين، ترجمة: أحمد الشنتاوي، إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد يونس، دار المعرفة، بيروت، د.ط، 1933م.

43.دفاع عن السنة ورد شبهات المستشرقين والكتاب المعاصرين: محمد بن محمد أبو شبهة، مكتبة السنة، مصر، ط1، 1989م.

44.الرجال الستة الذين تدور عليهم أسانيد الحديث: إبراهيم بن علي آل كليب، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1422هـ-2001م.

45.رسالة في الطريق إلى ثقافتنا (مقدمة كتابه المتنبي): محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، دار المدني، جدة، 1407-1987م.

46.الرسالة:محمد بن إدريس الشافعي،تحقيق أحمد شاكر،مكتبة الحلبي، مصر، ط1، 1358 هـ-1940م.

47.الروح : في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة: أبو عبد الله شمس الدين بن سعد الزرعي، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1395هـ-1975.

48.السلطة في الإسلام: عبد الجواد ياسين، المركز الثقافي العربي، المملكة المغربية، ط1، 1998م.

49.السنة بين أهل الفقه وأهل الحديث: محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، د.ط، د.ت.

50.السنة قبل التدوين: محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ-1988هـ.

51.السنة كلها تشريع: موسى شاهين لاشين، جامعة قطر، بحث بمجلة كلية الشريعة، العدد10.

52.السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي: مصطفة السباعي، دار ابن حزم، بيروت.

53.سنن ابن ماجة: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، فيصل بابي الحلبي، د.ط، د.ت.

54.سنن الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، بتحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، د.ط، د.ت.

55.السنن الكبرى: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، حققه وخرّج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ-2001م.

56.سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1405هـ-1985م.

57.شرح العقيدة الطحاوية: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1414هـ.

58.شرح علل الترمذي: ابن رجب الحنبلي، ت: نور الدين عتر، دار الملاح، ط1، 1398هـ-1978م.

59.شرح علل الترمذي: ابن رجب الحنبلي، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1421هـ2001م.

60.شرف أصحاب الحديث: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، ت: محمد سعيد أوغلي، أنقرة، دار إحياء السنة، د.ط، د.ت.

61.شروط الناقد: ياسر الشمالي، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد بجامعة اليرموك بالأردن، 1431هـ.

62.الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حمّاد الجوهري، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط1، يناير، 1990م.

63.صحيح ابن حبان: أبو حاتم محمد بن حبان: ترتيب الأمير علاء الدين بن بلبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ-1993م.

64.صحيح مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1412هـ-1991م.

65.صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج، اعتنى به: ياسر حسن، عزالدين ضلّي، عماد الطيار، بيروت، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 1430هـ، 2009م.

66.صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط، وحمايته من الإسقاط والسقط:تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، دار المغرب الإسلامي، بيروت،ط2، 1408هـ.

67.ضحى الإسلام: أحمد أمين، مهرجان القراءة للجميع، د.ط، 1997م.

68.ضعيف سنن الترمذي: محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه: زهير الشاويش، ط1، 1405هـ.

69.الطبقات الكبرى: محمد بن سعد البصري، ت: عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ-1990م.

70.الطوفان الجارف لكتائب البغي والعدوان: سعيد بن مبروك القنوبي، د.ب، ط1، 1420هـ، 2000م.

71.ظهر الإسلام: أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط4، 1966م.

72.العقلانيون أفراخ المعتزلة العصريون: علي حسن عبد الحميد الحلبي، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، ط1، 1413هـ-1993م.

73.العقيدة والشريعة في الإسلام: إجناس جولد زيهر، تعريب: محمد يوسف موسى، علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق، دار الكتاب العربي، مصر، ط2، د.ت.

74.العلل الصغير: أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، ت: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.

75.العلل: علي بن عبد الله بن جعفر المديني، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1980م.

76.علوم الحديث في ضوء تطبيقات المحدثين النقاد: حمزة عبد الله المليباري، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ-2003م.

77.علوم الحديث: أبو عمرو بن عبد الرحمن الشهرزوري: ت: نور الدين عتر، دار الفكر، دمشق، د.ط، 1406هـ-1986م.

78.الفتاوى الكبرى: أحمد بن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1386هـ.

79.فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الحافظ ابن حجر، دار طيبة، الرياض، ط1، 1416هـ2055م.

80.فتح الباري في شرح صحيح البخاري: ابن حجر العسقلاني، دار السلام، الرياض، دار الفيحاء، دمشق، ط3، 1421هـ-2000م.

81.فتح الباري: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر، ت: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت.

82.فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: شمي الدين السخاوي، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1429هـ.

83.الفصل في الملل والأهواء والنحل: أبو محمد علي بن حزم، ت: محمد إبراهيم نصر، عبد الرحمن عميرة، شركة مكتبات عكاظ، السعودية، ط1، 1402هـ-1982م.

84.فقه السيرة: محمد الغزالي، ت: محمد ناصر الألباني، دار القلم، دمشق، ط7، 1998م.

85.القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر الفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 1426هـ2005م.

86.قذائف الحق: محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ-1991م.

87.قذائف الحق: محمد الغزالي، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ-1991م.

88.قرة عين المحتاج في شرح مقدمة صحيح الإمام مسلم بن الحجاج: محمد بن علي الإثيوبي الولوي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط2، 1426هـ-2005م.

89.قضايا معاصرة في فكرنا المعاصر: حسن حنفي، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط، د.ت.

90.كتاب العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي، بيروت،ط1، 1408هـ-1988م

91.كتاب جمهرة اللغة:محمد بن الحسين بن دريد،تحقيق: رمزي بعلبكي،دار العلم للملايين،بيروت،ط1،1987م.

92.الكتاب والقرآن: محمد شحرور، الأهالي للطباعة والنشر، سورية، دمشق، د.ط، د.ت.

93.الكفاية في علم الرواية: أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، دار الهدى، مصر، ط1، 1423هـ-2003م.

94.الكليات: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ت: عدنان درويش، محمد المصري، د.ط، 1419هـ-1998م.

95.لسان العرب: أبو الفضل جمال الدين بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط3، 1414هـ.

96.لسان المحدثين: محمد خلف سلامة، الموصل، د.ط، 2007م.

97.المجروحين: أبو حاتم محمد بن حبان البستي، ت: حمدي السلفي، دار الصميعي، الرياض، ط1، 1420هـ-2000م.

98.مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: أبو الحسن نور الدين علي بن سليمان الهيثمي، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، د.، 1414هـ-1994م.

99.مجموع الفتاوى: أحمد عبد الحليم بن تيمية اعتنى بها وخرّج أحاديثها: عامر الجزار، أنور الباز، المنصورة، دار الوفاء، ط3، 1426هـ، 2005م.

100. مجموع الفتاوى: تقي الدين بن تيمية، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، 1425هـ.

101. محاضرات في علم الرواية: بوبكر كافي، دار الفجر، قسنطينة، د.ط، د.ت.

102. محمد شحرور: نحو أصول جديدة في الفقه الإسلامي (فقه المرأة): محمد شحرور، دار الأهالي، د.ت، د.ط.

103. مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت: محمد خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط، 1415هـ-1995م.

104. المدرسة الحديثية في مكة والمدينة وأثرها في الحديث وعلومه من نشأتها حتى نهاية القرن الثاني الهجري: محمد الثاني عمر موسى، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط1، 1428ه.

105. المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله محمد بن حمدويه الحاكم، دار الحرمين، القاهرة، مصر، مط1، 1417هـ1997م.

106. مستقبل الإسلام خارج أرضه: محمد الغزالي، دار الصحوة، جدة، ط2، 1986م.

107. مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة الرسالة، ط1،

1421هـ2001م.

108. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم: أبو نعيم بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق الأصبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1417هـ-1996م.

109. المسند: أحمد بن حنبل، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1416هـ، 1995م.

110. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد محمد بن علي الفيومي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ط5، 1922م.

111. المعتزلة بين القديم والحديث:محمد العبدة وطارق عبد الحليم، دار الأرقم، برمنجاهم،ط1، 1408ه_1986م

112. المعتزلة: زهدي حسن جار الله، مطبعة مصر، ط1، 1366هـ-1948م.

113. معجم مقاييس اللغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء، دار الفكر، د.ط، 1399هـ، 1979م.

114. معرفة أنواع علوم الحديث: تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن الصلاح، دار الفكر، سوريا، د.ط، 1406هـ1986م.

115. معرفة علوم الحديث: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم،تعليق وتصحيح،السيد معظم حسين،دار الآفاق، بيروت،ط1400،4ه_1980م

116. معرفة مدار الإسناد وبيان مكانته في علم علل الحديث: محمد مجير الخطيب الحسني،قدم له: نور الدين عتر، ومحمد عوامة، ومحمد عجاج الخطيب، وبديع السيد اللحام، دار الميمان، المملكة العربية السعودية،ط1428،1ه_2007م.

117. مفردات ألفاظ القرآن: الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الأصفهاني، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.

118. مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث: خرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى ديب البغا، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر، د.ط، د.ت.

119. مكانة الصحيحين: إبراهيم ملا خاطر، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1، 1402هـ.

120. من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي، مكتبة مدبولي، مصر، د.ط، د.ت.

121. من العقيدة إلى الثورة: حسن حنفي،المركز الثقافي العربي،دار التنوير للطباعة والنشر، د.ب، ط1، 1988م.

122. المنطلقات الفكرية والعقدية عند الحداثيين للطعن في الصحيحين: أنس سليمان أحمد المصري، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد بجامعة اليرموك بالأردن، 1431هـ.

123. المنهج الاستشراقي في دراسة السنة النبوية وعلومها: عبد العزيز فارح،ط3، د.ب، د.ت.

124. منهج الإمام البخاري في تصحيح الأحاديث وتعليلها من خلال الجامع الصحيح: أبو بكر كافي، دار ابن حزم، بيروت، ط1421،1هـ-2000م.

125. منهج التيسير المعاصر: عبد الله بن إبراهيم الطويل، دار الهدي النبوي، مصر، ط1، 1426هـ-2005م.

126. منهج النقد في علوم الحديث: نور الدين عتر،دار الفكر، دمشق، ط3، 1401هـ-1981م.

127. الموافقات في أصول الفقه : إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت، د.ط،د.ت.

128. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: مجموعة من الباحثين، إشراف: مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية، الرياض، ط4، 1420هـ.

129. الموطأ برواية يحي بن يحي الليثي: مالك بن أنس حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: بشار عوّاد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1417هـ- 1997م.

130. موقف المدرسة العقلية من السنة النبوية: الأمين الصادق الأمين، مكتبة الرشد، الرياض،ط1، 1418هـ-1998م.

131. نحو تفعيل قواعد نقد متن الحديث: إسماعيل الكردي، دار الأوائل، سوريا، ط1، 2002م.

132. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر: علي بن حجر العسقلاني، ت: نور الدين عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط3، 1421هـ-2000م.

133. نظرات جديدة في علوم الحديث: حمزة عبد الله المليباري، ، د.ب، د.ط ، د.ت.

134. نقد النص:علي حرب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

135. النكت على كتاب ابن الصلاح: ابن حجر العسقلاني، ت: مسعود عبد الحميد السعدني، محمد فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1414هـ-1994م.

136. هدي الساري مقدمة شرح صحيح البخاري: أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر، ت: عبد العزيز بن باز، محب الدين الخطيب، بيروت، دار الفكر، د.ط، د.ت.

137. هدي الساري:أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، مراجعة: قصي محب الدين الخطيب،دار الرياض، القاهرة، ط1، 1417هـ-1984م.

138. الواضح في مناهج المحدثين: ياسر الشمالي، دار ومكتبة الحا مد، ط3، 1427هـ-2006م.

139. وهم الإعجاز العلمي: خالد منتصر، دار العين، مصر، ط1، 2005م.

140. اليواقيت والدرر في شرح نخبة ابن حجر: عبد الرؤوف المناوي، ت: المرتضى الزين أحمد، مكتبة الرشد، الرياض، د.ط، 1999م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المواقع الإلكترونية:

141. http://www. Islamway.com/
142. http://www.al kodslana.com
143. http://samer_is.maktoobblog.com
144. http://khaledmontaser.com
145. http:/wikipedia.org/wiki.
146. http://nadielfikr.com.
147. http://www. Saishawwa.com
148. h ttp://www. Ikhwan.net.
149. http://www. Darwael.com
150. http://www. furat.com

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

مقدمة..... أ

الفصل الأول :الشهرة عند المحدثين ومعالمها عند الشيخين

مدخل..... 2

المبحث الأول: الشهرة عند المحدثين..... 3

المطلب الأول: مفهوم الحديث المشهور..... 3

الفرع الأول: مفهوم الحديث المشهور لغة..... 3

1-مفهوم الحديث لغة..... 3

2-مفهوم المشهور لغة 4

الفرع الثاني: مفهوم الحديث المشهور اصطلاحا..... 6

1-مفهوم الحديث اصطلاحا..... 6

2-مفهوم المشهور اصطلاحا..... 6

المطلب الثاني: أقسام الحديث المشهور..... 9

المطلب الثالث: عناية المحدثين بالحديث المشهور..... 11

المطلب الرابع: موقف المحدثين من الغرائب..... 14

المبحث الثاني: معالم شهرة الحديث في الصحيحين..... 17

المطلب الأول: مكانة الصحيحين..... 18

المطلب الثاني: اعتماد الشيخين أشهر أسانيد أئمة الأمصار..... 27

المطلب الثالث: اعتماد الشيخين أصح الأسانيد..... 35

المطلب الرابع: فائدة تكرار الحديث وتقطيعه..... 38

المطلب الخامس:اعتماد الشيخين الشواهد والمتابعات..... 41

المطلب السادس: استفادة البخاري ومسلم من علماء عصرهما..... 42

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المطلب السابع: كثرة المستخرجات على الصحيحين..... 46
المطلب الثامن: عناية الشيخين بالأحاديث التي جرى عليها العمل..... 50
خلاصة الفصل..... 54

الفصل الثاني: أثر الشهرة في رد شبهات المعاصرين حول السنة النبوية

مدخل..... 56
المبحث الأول: المنطلقات العقدية والفكرية لخصوم الصحيحين..... 57
المطلب الأول: المنطلقات العقدية لخصوم الصحيحين..... 57
المطلب الثاني: المنطلقات الفكرية لخصوم الصحيحين..... 67
المطلب الثالث: أسباب تقصد الصحيحين بالطعن..... 84
المطلب الرابع: آثار الطعن في الصحيحين..... 87
المبحث الثاني: توظيف الشهرة في رد شبهات المعاصرين حول أحاديث الصحيحين..... 95
المطلب الأول: عرض شبهة الطاعنين بعدم شهرة أحاديث الصحيحين..... 95
المطلب الثاني: دراسة نماذج لإبطال شبهة عدم شهرة أحاديث الصحيحين..... 96
أولا: حديث جبريل في بيان الإسلام والإيمان والإحسان..... 96
ثانيا: حديث كلام الرضيعين..... 103
ثالثا حديث الشفاعة..... 106
خلاصة الفصل..... 109
الخاتمة..... 110
توصيات البحث..... 113

فهارس البحث

فهرس الآيات القرآنية 115

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة 116

فهرس الأعلام المترجم لهم 117

فهرس المصادر والمراجع 119

فهرس الموضوعات 131

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية